وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

دور الأسرة الحفصية في حوض البحر الأبيض المتوسط 943.628 هـ1536.1229م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في دراسات تاريخ وحضارة العصر الوسيط.

إعداد الطالبتين:

. دليلة طاعن

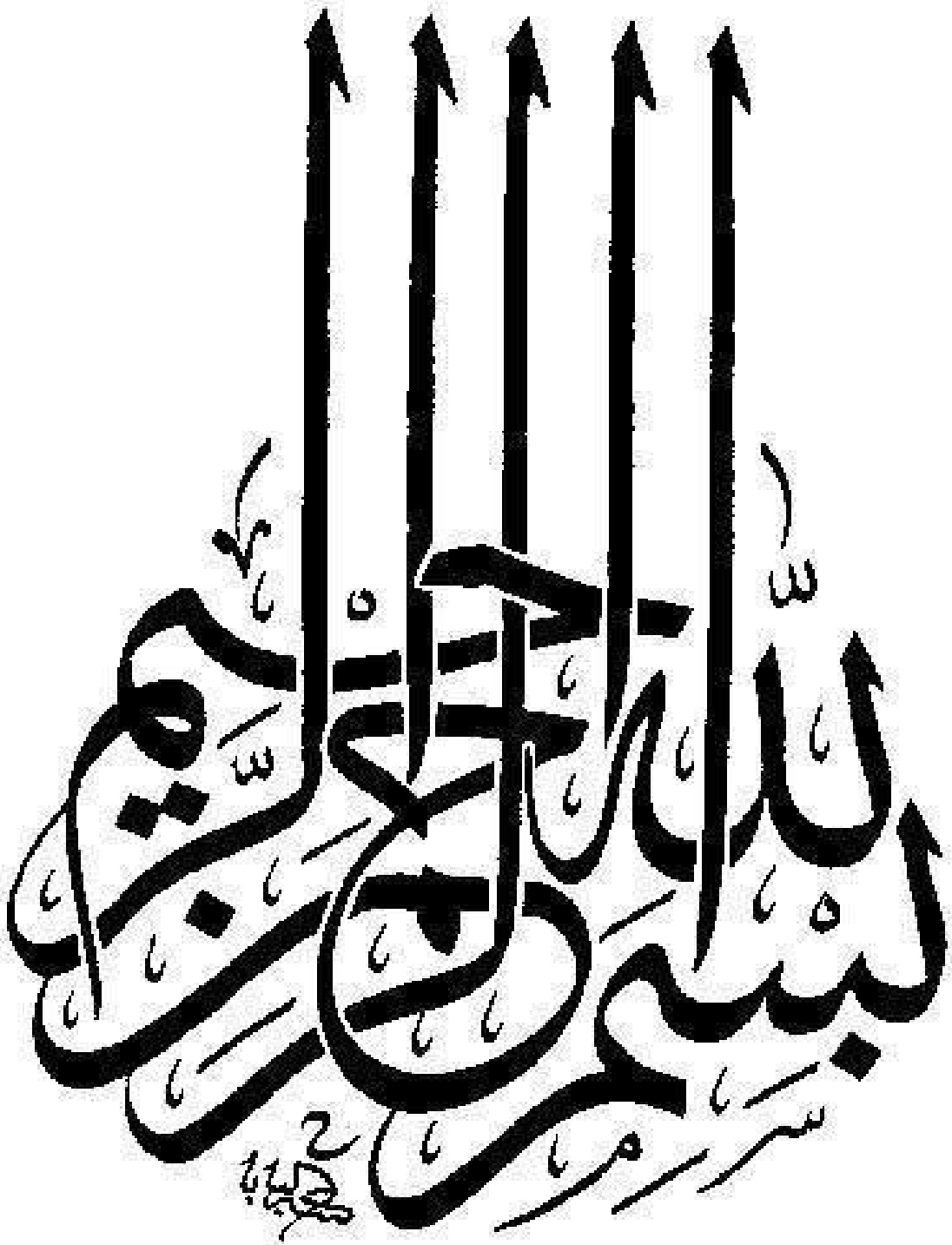
. فاطمة الزهرة بو قرومي

إشراف الدكتور

توفيق مزاري عبد الصمد

السنة الجامعية:

1438.1437هـ/2017.2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

بداية نشكر المولى عزَ وجل الذي رزقنا نعمة العقل، وحسن التوكل عليه سبحانه وتعالى وعلى نعمه الكثيرة التي رزقنا إياها،فالحمد لله الذي سدد خطانا.

يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم:<< من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدي إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له>> .

وعليه نتقدم بالشكر والامتنان إلى المشرف الفاضل الدكتور" توفيق مزاري: عبد الصمد" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه في إنجاز هذه المذكرة، فلك منا فائق عبارات التقدير والاحترام.

كما نتوجه بالشكر الجزيل والعرفان إلى الدكتور" موسى هيصام" الذي لم يبخل علينا بالاستفادة من كتبه.

كما نتوجه بالشكر إلى الأستاذ " حمزة عبد الصمد"

وكل من ساعدنا في انجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى ملاكي في الحياة ، إلى من أرضعتني الحب والحنان ، إلى أغلى الحبايب ولولاك لما كنت اليوم ناجحة : أمي الحبيبة مسعودة، وأتمنى من الله أن يحفظك.

إلى تاج رأسي وفخري وعوني في الحياة، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى من رباني وتعب وسهر أبي عثمان" حفظك الله ورعاك.

إلى زوجة أبي لك مني كلالاحترام والتقدير

إلى سند حياتيإخوتي: نعيمة رابح يوسف جهيدة ثلجة عيدة وهيبة رعاكم الله جميعاً إلى أخي عبد الكريم وزوجته غنية.

إلى من شاركني أفراحي وأحزاني أصدقائي حمزة سمية نعيمة والصديقة التي شاركتني في انجاز هذه المذكرة فاطمة الزهرةبوقرومي

ولكل العائلة.

دليلة

إهداء

إلى من ليس لي من بعدهم حبيب إلى من بدعائهم لا أخيب إلى من برضاهم أنجح وأصل إلى أعلى الدرجات والدي الكريمين، أماه أنت نهر لا ينقطع أنت العطاء الذي يفيض بلا حدود، أنت علمتني معنى الصبر والصمود من أجل الوصول إلى طريق النجاح يمينة.

أبي أنت مثلي وسندي الأعلى في الحياة منك تعلمت الحب والحنان والجود والكرم، أنت بالنسبة لي أروع ملاك يحضنني ولو أستطيع لأهديك عمري أبي محمد.

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساعدونني ويتنازلون عن حقوقهم من أجل نجاحي إخوتي: جميلة فتيحة فاطمة علي مصطفى وهيبة عبد الحق.

إلى أولاد أخواتي: رندة أنفال سارة رفيف هديل سجود.

إلى زميلتي التي ساعدتني في هذا العمل:دليلة طاعن وعائلتها.

إلى صديقاتي: حياة وفطيمة أحلام فايزة، وكل من أعانني من قريب وبعيد.

فاطمة الزهرة

قائمة المختصرات

- تح: تحقيق
- تع: تعليق
- تق: تقديم
- تر: ترجمة
- ج: جزء
- ت: تاريخ الوفاة
- د ت: دون تاريخ
- د د ن: دون دار نشر
- د ط: دون طبعة
- د م ن: دون مكان نشر
- ط: طبعة
- ص: صفحة
- هـ: التاريخ الهجري
- م: التاريخ الميلادي

المقدمة

استمرت الدولة الموحدية في التطور والازدهار، أثناء حكمها للمغرب والأندلس، إلي غاية معركة العقاب التي انهزم فيها الموحدون (609 هـ،1212م)،حيث دب الضعف في أركان هذه الدولة واستغلت القبائل المغاربية هذه الفرصة، وأقاموا عدة دول بسطت نفوذها في حوض البحر المتوسط، منها الإمارة الحفصية في تونس ،وهي امتداد للدولة الموحدية حيث أخذت من نظمها وأثرها الحضارية الكثير خاصة في المجال البحري .

فالإمارة الحفصية خاضت العديد من المعارك البحرية عبر التاريخ، خاصة وأن القران الكريم شجع المسلمين و العرب على ركوب البحر مثل قوله تعالى : << **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** >>سورة الأنعام الأية 97.فقد استطاعت الإمارة الحفصية الإستلاء على العديد من الجزر ووصلت إلي غاية الأندلس واستخدمت أسلحة بحرية فعالة وسفن حربية كبيرة، ذات قدرات عالية للإبحار والقتال ،وبرع قادة وبحارة في مختلف الفنون الحربية وسيطروا مرات عدة على حوض البحر المتوسط.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعتنا مجموعة من الأسباب لدراسة دور الأسرة الحفصية في حوض البحر المتوسط تمثلت في:

ـأولا البحث العلمي في تاريخ هذه الأسرة في المغرب الإسلامي في هذه الفترة المتأخرة من العصور الوسطى.

ـ أنه يعالج مرحلة حاسمة من تاريخ المغرب الإسلامي وهي فترة انتقالية بين العصور الوسطى والعصور الحديثة.

ـ أن هذه الإمارة جاءت في فترة انحطاط وتدهور الخلافة الإسلامية في المشرق.

أهمية الموضوع:

كان للإمارة الحفصية أهمية كبيرة في حوض البحر المتوسط، وفي تاريخ العرب والمسلمين خلال العصر الوسيط، فقد كان للمهتمين بحوث ودراسات عديدة حول هذه الإمارة، لكن رغم ذلك فلم تحظى البحرية الحفصية بدراسات عميقة.

إشكالية الدراسة: ولدراسة هذا الموضوع دراسة منهجية طرحنا الإشكالية التالية:

- ما هو دور الأسرة الحفصية في حوض البحر الأبيض المتوسط؟ وللإجابة على هذه الإشكالية طرحنا التساؤلات التالية:

_هل حقق الأسطول توازناً سياسياً وعسكرياً في حوض البحر الأبيض المتوسط ؟

_وما مدى مساهمته التجارية والاقتصادية ؟

_ وفيما تمثلت نظمه البحرية؟

الدراسات السابقة:

بعد قراءتنا الأولية للموضوع لم نجد أي دراسة تناولته بصفة كاملة إلا بعض الدراسات القليلة التي تناولت جانباً من جوانبه، ولعل أبرزها:

–جميلة مبيطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها،سنة621-893وهي أطروحة ماجيستر، اشراف محمد المنيسي،محمود عاصي، جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا التاريخية،المملكة السعودية،1421هـ.2000م.

– أحمد عامر، الدولة الحفصية، دط،دار الكتب الشرقية، تونس،1974م.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، القائم على وصف أهم الموانئ والسفن والعتاد التي استعملها الحفصيون في حروبهم، والمنهج التحليلي، القائم على شرح وتفسير مراحل انفصال الحفصيين عن الموحدين ونشأة هذه الإمارة .

خطة البحث:

قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وأربع مباحث وخاتمة:

مقدمة: بينا فيها أهمية الموضوع وأسباب اختيارنا لهذا الموضوع، وأيضاً المنهج المتبع في البحث، وفي الأخير ذكرنا أهم المصادر والمراجع التي خدمتنا والصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا البحث.

المدخل: تحدثنا فيه عن الوضع العام لبلاد المغرب في حوض البحر المتوسط قبل مجيء الحفصيين.

المبحث الأول: بعنوان قيام الإمارة الحفصية ،والذي قسمناه إلى ثلاث عناصر تحدثنا فيها فيه عن نسب الحفصيين، وبداية نشأة هذه الإمارة وانفصالها عن الموحدين.

المبحث الثاني: والذي كان عنوانه الدور السياسي والعسكري للإمارة الحفصية في حوض البحر المتوسط، مع القوى الإسلامية والنصارى والحوض الشرقي.

المبحث الثالث: المعنون بالدور الاقتصادي للإمارة الحفصية في حوض البحر والذي تناولنا فيه الحديث عن الزراعة والصناعة، والدور التجاري للإمارة الحفصية، وعلاقتها بدول الجوار والدول الأوروبية، وأهم الصادرات والواردات.

المبحث الرابع: خصصناه للحديث عن النظم البحرية للإمارة الحفصية، والذي قسمناه بدوره إلى ثلاث عناصر، تحدثنا فيها، عن أهم القادة الحفصيين ،ومكونات الأسطول، وأهم الموانئ .

وفي الختام وصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات كخاتمة للموضوع، بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق.

عرض بعض المصادر والمراجع: من بين أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا العمل نذكر:

أولا :المصادر

كتب التاريخ العام:

– من بين أهم الكتب، كتاب عبد الرحمان ابن خلدون، (ت808هـ-1406م) في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر والعجم والبربر ومن عناصرهم في ذوي السلطان الأكبر" ،وهو عبارة عن موسوعة شاملة لأنه كتب في مختلف المجالات، خاصة وأنه تحدث عن فترة الحفصيين الخاصة بموضوع بحثنا في الجزء الثاني والسادس والسابع.

– عبد **الله** محمد بن أحمد ابن الشماع، (ت861هـ- 1457م) وكتابه الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، والذي أفدانا كثيرا في معرفة نسب الحفصيين ،وسبب انفصالهم عن الموحدين.

كتب الجغرافيا والرحلة:

– كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، "لمؤلفه الشريف الإدريسي،(ت560هـ-1164م) استفدنا منه كثيرا في معرفة أهم الموانئ الحفصية.

– وكتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان،(ت957هـ-1550م) وقد أفادنا في العديد من الجوانب، خاصة الجانب الاقتصادي للإمارة الحفصية.

–كتاب "رحلة التجاني" لصاحبها أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد التجاني، استفدنا منه في معرفة الأسباب التي أدت بانفصال الحفصيين عن الموحدين، بحيث وصف إفريقية باعتبارها من بين المدن التي زارها في تلك الفترة أفادنا في العديد من الجوانب خاصة الجانب الاقتصادي.

_كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، لصاحبه محمد بن عبد المنعم الحميري (ت900هـ.1494م)،يعتبر هذا الكتاب معجم جغرافي يصف لنا بعض المدن والتعريف بها، كما يسرد بعض الأحداث التاريخية للمناطق ،واستفدنا منه في الفصل الأول والرابع خاصة في ذكر أهم المناطق الحفصية.

ثانياً: المراجع: من بين أهم المراجع التي اعتمدنا عليها نجد:

-تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15لروبار برنشفيك، بجزأيه الأول والثاني، وقد أفادنا هذا الكتاب بشكل كبير لأنه تناول الإمارة الحفصية في مختف جوانبها منذ قيامها إلى غاية سقوطها.

-كما تضمن بحثنا مجموعة من المذكرات التي ساعدتنا في كتابة موضوعنا هذا مثل نضال مؤيد عزيز الله الأعرجي ،"التاريخ الإسلامي"، وسالم أبو القاسم غومة، "العلاقة السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط".

الصعوبات: من بين الصعوبات التي واجهتنا في كتابة موضوعنا هذا

-كان من الطبيعي أن نواجه صعوبات وعلى رأس هذه الصعوبات نقص المادة العلمية التي تتحدث عن البحرية الحفصية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

مدخل

شهدت منطقة المغرب و الأندلس الخلافة الموحدية بعد سقوط دولة المرابطين التي انتشرت فيها بعض المفاسد في الحياة الاجتماعية، لتحل محلها الدولة الموحدية سنة(541 هـ1146م) بعد استلائهم على مراكش ،وقد قامت دولتهم على أساس دعوة دينية إصلاحية تهدف إلى تحقيق وحدة إسلامية شاملة.

وأمام الأحوال المتفاقمة للدولة المرابطية ،وجدت الدعوة الموحدية ما ساعدها على الجهر ضد الوضع الفاسد ،وعلى القيام بإصلاحات على يد مؤسسها ابن تومرت الذي ظل بالمشرق لمدة عشر سنوات، متنقلا بين الأمصار وبعد عودته اهتم بإصلاح أوضاع البلاد سياسيًا وفكريًا و دينيًا حيث عمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل نجاح دعوته[1].

وبفضل الجهود الجبارة التي قام بها المهدي بن تومرت الذي تمت مبايعته يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة، [2] استطاعت أن تحكم هذه الدولة من طرابلس الغرب شرقا إلى الأندلس غربا، ونشطت هذه الأخيرة في ميادين عديدة منها العسكرية خاصة المجال البحري، وقيادة الأساطيل، وبدأت البحرية عندهم منذ عهد عبد المؤمن بن علي الذي قام بعمليات برية وخاصة البحرية ضد الصليبيين.[3]

وارتبطت قيادة الأساطيل عندهم بأسرة بني ميمون حيث انظم إلى الموحدون علي بن عيسى بن ميمون قائد أسطول المرابطين الذي استقل بقادس وسمي "أمير البحر،"[4]كما واجهت بحرية الموحدين البحرية الأوروبية لكن تغير الوضع فيما بعد نتيجة تحسن العلاقات،[5] وبفضل

---

[1]– صفية ديب، **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر،2011،ص ص 23،22.

[2]– عبد الله بن محمد بن ابراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح، تع، محمد ماضوى،ج2، ط2، المكتبة العتيقة تونس،1966، ص6

[3]– عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دط، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1969،ص248.

[4]– توفيق مزاري عبد الصمد، **النشاط البحري بالمغرب الإسلامي في العصر المرابطين والموحدين**،منشورات دار الثقافة حسن حسني المدية،الجزائر2010 ص289.

[5]– محمد شيت خطاب، **المغرب العربي**،ج1، دار الفكر للنشر، د.ط، د.ت، ص148.

تطور البحرية الموحدية إنظمت إليها العديد من المناطق مثل اشبيلية،[1] أما بالنسبة للإقليم الشرقي للأندلس، فقد عارضوا فكرة الوحدة مع المغرب وأعلنوا استقلالهم بإماراتهم مثل المرية[2] التي كانت من المراسي الهامة، فقد كان يبحر فيها من أراد السفر في البحر إلى مصر والشام وغيرها من بلاد المشرق الإسلامي، حيث تكالب عليها أساطيل عدة، انتهت بحصار دام 7 أشهر وفي الأخير حررها الموحدون،[3] أضف إلى ذلك بنو غانية الذين كانوا غزاة بحارين ضد القوى الصليبية في حوض البحر المتوسط ،وقد أغاروا على فرنسا وهاجموا سفنهم في البحر،[4]وكانت السفن البحرية الموحدية على نوعين :إحداهما تستعمل لنقل الجند والمؤن إلى السواحل الأندلسية وثانيها يتألف من السفن الحربية، وذكر المؤرخون أنّ أسطول الموحدون بلغ أربعمائة سفينة.[5]

ويذكر ابن جبير الذي عاصر الموحدون في القرن السادس ،ولاحظ سفنهم بأن الجلاب (المركب) لا يستعمل فيها مسمار البتة وإنما مُخيطة بأحراص من القنبار وهو قشر جوز النرجيل،وإذا فرغوا من إنشاء المركب على هذه الضفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو القرش وهو الحوت العظيم في البحر.[6]

فالأساطيل التي امتلكها الموحدون تميزت بالكثرة ،وذلك راجع إلى طول السواحل والمعارك العديدة التي قاموا بها، حيث أنشأوا أقوى أسطول في البحر[7] في عهد عبد المؤمن الذي قام بإنشاء العديد من المراسي، ودور الصناعة في المغرب و الأندلس،وهذا لوفرة الخشب وكل ما هو

---

[1]- سالم و العبادي، مرجع سابق، ص248.

2- **المرية**:هي مدينة إسلامية أسسها المسلمون في الأندلس،وهي من أعظم قواعد أسطول الأندلس في عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف، وهي المركز التجاري الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر المتوسط،وكانت تقع على شاطئ خليج واسع يحميها من الرياح،ويعرف اليوم باسم خليج المرية، أُنظر، عبد العزيز سالم،**تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ،الإسكندرية ،د ت، ص ص9.8.

[3]- نفسه، ص،ص96.94

[4]- سالم ، العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، مرجع سابق ص251.

[5]- شيت خطاب، مرجع سابق،ص375.

[6]- أبي الحسن محمد بن أحمد ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، د.ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1379هـ/1959م، ص 47.

[7]- عبد الصمد ، مرجع سابق، ص307.

ضروري لصناعة السفن ،وبنى القلاع والحصون،[1]وكان التدريب البحري في بركة أو بحيرة عظيمة صنعها الخليفة خارج قصره مربعة الشكل ،وغرس عبد المؤمن بحيرة بغربي المدينة وبنى فيها صهريجين.[2]

وظهرت قوة الموحدون في المعارك التي قاموا بها ضد القطلونيين في الأندلس،وفي موقعة المهدية التي احتلها النرمانيون أصحاب صقلية فتغلب الموحدون بقيادة أمير البحر عبد الله بن ميمون على أسطول النرمانيون الذي كان يتألف من مأتي سفينة،[3] كما قاد أيضاً عبد العزيز بن ميمون الأسطول الموحدي الذي قوامه سبعين مركباً ،وهو من البيت المشهور في قيادة البحر وغيرهم ممن كان لهم دور في قيادة البحر مثل:ابن الخراط، والحسن الشاطبي.[4]

وفي عهد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن اهتم بالتعليم والتدريب الذي كان قد وضع أسسه والده عبد المؤمن، فأنشأ مدن صناعية في مراكش واشبيلية للرفع من قدراتهم القتالية[5] ودارت حرب بين الموحدين والقطلانيين في هذه الفترة على مقربة من برشلونة ،وكان التفوق فيه للأسطول الموحدي،كما شارك الأسطول في العمليات الحربية التي كانت ضد القوى المسيحية[6] في اسبانيا[7].

ومن الملاحظ أنّ الموحدين اهتموا بالأسطول أكثر من اهتمام المرابطين والأمر الذي ساعدهم هو اتساع رقعة دولتهم، فتيسر لهم استخدام دور الصناعة القديمة المنتشرة في السواحل فمن المراسي القديمة التي ظل الموحدون يستخدمونها في بناء سفنهم، المرية ،طنجة، وهران، المهدية

---

[1]– سالم و العبادي، مرجع سابق، ص254.

[2]– عبد الصمد ، مرجع سابق، ص295.

[3]– شيت خطاب، مرجع السابق، ص376.

[4]– أبو عبد الله محمد ابن أحمد التجاني، **رحلة التجاني**، د.ط، الدار العربية للكتاب تونس،1982 ، ص348.

[5]– عبد الصمد ، مرجع سابق، ص225.

[6]– سالم ، العبادي، مرجع سابق ، ص264.

[7]– **اسبانيا**: وهي المسمى جزء منها عند العرب الأندلس ،وأشهر مدنها نجد قرطبة وإشبيلية وغرناطة وقادس وبرشلونة، أُنظر اسماعيل علي، **النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية**، ط2، مطبعة اندريا كستا جيليولا، مصر، 1906، ص 81.

تونس، بجاية، كما أنشأوا دور صناعة جديدة [1]،ويظهر لنا ذلك من خلال نقلهم لمركز القيادة من الأندلس إلى المغرب، حيث أنه منذ خلافة عبد المؤمن بن علي كانت سبتة مركزًا دائما للأسطول الموحدي وكانت أكثر سفنهم تبنى في الشواطئ.[2]

وبفضل قوة البحرية الموحدية تمكنوا من تحقيق النصر في معركة "الأراك9 شعبان 159هـ يوليو1195م،وانكسرت شوكة الضغط النصراني، وأتيحت الفرصة للموحدين للنظر إلى إفريقية التي شهدت اضطرابات كثيرة، فبعد وفاة الخليفة الموحدي أبو يعقوب المنصور وخلفه ابنه محمد الناصر تمكن من استرجاع المهدية وتونس، كما قام بتعيين أكبر رجال الدولة الموحدية أبو محمد عبد الواحد أبو حفص وتمكن هذا الأخير من تحقيق انتصارات عديدة ،وتثبيت لأقدام الحفصيين في إفريقية [3].

وبعد معركة العقاب التي انهزم فيها الموحدون وانقسام دول المغرب نتج عنه تشتت الأسطول المغاربي وتوزيعه بين هذه الدول، سواء من حيث صنعه، أو مراسيه ،وكذلك دور الصناعة، فالإمارة الحفصية التي انفصلت بشكل رسمي عن الموحدون في عهد أبو زكرياء الحفصي ورثت عنهم النظم البحرية ،ودور الصناعة ،و كان لها تفوق كبير في هذا المجال.

---

[1]- عز الدين عمر أحمد موسى، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، دار الشرق، بيروت القاهرة، 1403هـ1983م ص ص 57.56.

[2]- نفسه، ص57.

[3]- حسن مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1،دار النشر الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ،1408هـ.1987م،ص181

المبحث الأول:قيام الإمارة الحفصية

1 – نسب الحفصيين

2– النشأة والتطور

3– انفصال الحفصيين عن الموحدين

1- نسب الحفصيين:[1]

الحفصيون من قبائل هنتاتة،[2]أعظم قبائل المصامدة[3] من جبل دُرن، القائمون بدعوة المهدي،[4] وقد كان الشيخ أبو حفص أحد العشرة من أصحاب ابن تومرت[5] السابقين إلى نصرته ومبايعته، الذين قامت على أكتافهم دولة الموحدين، فأحكموا قواعدها وشيدوا أركانها،واستطاع أبو حفص أن يبرهن على كفاءته ومقدرته السياسية والإدارية في جميع الأعمال والولايات التي تولاها لدولة الموحدين، فاستحق ما تبوأه من المقام السامي.[6]

ولقد لقبه المهدي بن تومرت "عمر" ،وكناه "أبا حفص" وكان يجله ويقدره ويدعوه "المبارك" ويقول:" لا يزالون بخير ما بقي فيهم هذا الرجل أو أحد من أولاده وهو المشهور بعمر" إينتي ." [7]

---

[1]- ينسب الحفصيون، إلى المولى أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن يحي بن محمد بن والد بن علي بن أحمد والال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محمد بن محبة بن كعب، بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، أُنظر، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** ، تح، بن محمد المعموري، د.ط، الدار العربية للكتاب، تونس 1984 ص 48.

[2]- **هنتاتة** :هم السابقين لدعوة المهدي والممهدون لأمره ،وأمر عبد المؤمن من بعد ،ومعنى هنتاتة جدهم بلسان المصامدة أُنظر، عبد الرحمان ابن خلدون بن محمد الحضرمي، **ديوان المبتدأ و الخبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،دط،ج6، دار الفكر للطباعة، بيروت لبنان 1421هـ.2000م ص370.

[3]- **المصامدة**: وهم من ولد مصمود بن يونس، فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم، من بطونهم، برغواطة ،وغمارة وأهل جبل درن ولم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى، مصدر نفسه ص275.

[4]- ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، د.د.ن، تونس،1286،ص125.

[5]- **ابن تومرت**:ولد ابن تومرت480هـ،1087م، في قرية من قرى هرغة ،وتوفي عام522هـ،1128م، قضى حياته في حفض القرآن، تتلمذ عل يد الطرطوشي، أُنظر محمود السيد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007م، ص ص 48.45.

[6]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ط4، دار الثقافة، بيروت،1980،ص 42 .

[7]- عبد الواحد أبو محمد علي المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،دط، تح، محمد سعيد العريان، القاهرة1383هـ /1962م، ص262.

ونظرا لخبرته العسكرية،كلفه بقيادة حملة من الحملات الموحدية الأولى بقيادة هنتاتة. [1]

وبعد وفاة المهدي وبيعة عبد المؤمن بن علي[2] استمر دور الشيخ أبو حفص حيث حمل المصامدة على طاعة عبد المؤمن،فلم يختلف عليه اثنان ،ولم يستطع عبد المؤمن إعلان ولايته إلا بعد ثلاث سنوات من موت الخليفة المهدي عندما قال له الشيخ أبو حفص :(نقدمك كما كان الإمام يقدمك، فعلم أنَ أمره منعقد.)[3]"

وكان عبد المؤمن يرسله في مقدمة الجيوش حيث أرسله سنة(537هـ-1142م) إلى المغرب الأوسط،حيث دخلت العديد من العناصر البربرية في طاعته ،وهذا بفضل الجهود التي بذلها أبو حفص،[4]واستطاع ضم العديد من المدن التي لم تكن تحت سيطرة الموحدين وانفصلت عنها وسعى جاهداً لحمل سلاحه حتى استحق لقب" سيف الله". [5]

وفي سنة (541هـ-1146م) أُرسل على رأس جيش إلى قبيلة بيرغواطة فقام بغزوهم والإيقاع بهم[6]،وبعد رحيل عبد المؤمن إلى إفريقية جعله والياً على قرطبة[7] وأعمالها.[8]

---

[1]- روباربرنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15**، تر، حمادى الساحلي، ج1، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ص43.

[2]-**عبد المؤمن بن علي**:هو عبد المؤمن بن علي بن علوى الكومي من قوم يقال لهم بنو مجبر،ولد بتاجرا سنة487هـ، في أيام يوسف بن تاشفين،وتوفي سنة558هـ1163م،أُنظر إلى المراكشي، المعجب، مصدر سابق،ص265.

[3]- عد الرحمان ابن خلدون،ج6، مصدر سابق ،ص381.

[4]- جميلة مبيطي المسعودي،**<<المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621-893>>**،أطروحة ماجستير، اشراف محمد المنيسي، محمود عاصي جامعة أم القرى،قسم الدراسات العليا التاريخية،المملكة السعودية1421هـ،2000م،ص8.

[5]- روباربرنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص43.

[6]- مراجع عقيلة الغناي، **قيام دولة الموحدين**، ط2، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا،2008،ص305.

[7]- **قرطبة**: كانت دارا للمسلمين ومقر تدبيرهم، إلى أن ظهرت الفتنة وختل أمر بني أمية بالأندلس، أنظر المراكشي المعجب مصدر سابق،ص223.

[8]- عبد الواحد المراكشي أبو محمد بن علي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تق، تح، محمد زينهم، محمد عزاب، دار الفرجاني للنشر، القاهرة1414هـ-1994م،ص،188.

وقد واصل الشيخ أبو حفص دوره في عهد يوسف بن عبد المؤمن،[1]حيث أنه استطاع أن يشارك في المؤامرات التي أطاحت بالوزير محمد بن عبد السلام الكومي، حيث أنه خلع أخاه غير الشقيق محمد ورفع أخاه يوسف إلى الحكم.[2]

ولم يستطع عبد المؤمن إعلان ولايته إلا بعد مضي خمس سنوات عندما بايعه الشيخ أبو حفص ،وعدم مبايعته مباشرة من طرف الشيخ لإختباره ومعرفة قدرته على الحكم[3]،ووصف ابن خلدون ذلك الموقف بقوله:<<ولمّا ولي يوسف بن عبد المؤمن تخلف الشيخ أبو حفص عن بيعته ووجم الموحدون لتخلفه، حتى استنبل غرضه في حكما أمضاه بمعقد سلطانه ،وقد أعجب بفضله وأعطاه صفقة ثمينة وأعلن بالرضا بخلافته، فكانت عند يوسف وقومه من أعظم البشائر وتسمى بأمير المؤمنين سنة ثلاث وستين وخمسمائة>>.[4]

وفي سنة(562هـ-1166م) ذهب لمقاتلة قبيلة عمارة الثائرة، ثم تحول إلى الأندلس سنه(564هـ-1169م)،لإصلاح الأوضاع المتدهورة ،ولكنّه أُجبر على الاستقرار بقرطبة لكبر سنه وترك مهمة ممارسة الأعمال الحربية ليوسف، وبعد عودته لمراكش سنة (571هـ-1175م) أدركته المنية.[5]

وهناك من يرجع نسب الحفصيون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مثل ابن نخيل،[6]كما كان ابن تومرت يرفع نسبه إلى علي وفاطمة[7]،وأنَ عمر رضي الله عنه هو من أشراف قريش ،والنبي صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته حفصة ،والحفصيون بحكم هذا النسب النبوي وجدوا في أنفسهم الشرعية الكافية لأن يرثوا خلافة الموحدين المنهارة ،وحرصهم على

---

[1]- **يوسف بن عبد المؤمن**: توفي أبو يعقوب سنة 580هـ،1184م، أُنظر محمود السيد، تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية مرجع سابق، ص60 .

[2]- مراجع عقيلة الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، ط2، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2008ص85.

[3]- مبيطي المسعودي، مرجع سابق،ص9

[4]- ابن خلدون ج6، مصدر سابق، ص372.

[5]- روباربرنشفيك،ج1، مرجع سابق، ص 44-45.

[6]- الزركشي، ج 2، مصدر سابق، ص24

[7]- عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**،ج1،ط1، دار النشر المركز الثقافي العربي، لبنان2009،ص357.

الاعتزاز بهذا الأصل ،والبعض الأخر ينسبهم إلى قبيلة هنتاتة وهي من أعظم قبائل المصامدة على وجه الخصوص ،وأكبر قبائل البربر على وجه العموم.[1]

فالعرب منذ القدم حرصوا على المحافظة على أنسابهم ،وعدم اختلاطهم بغيرهم من الشعوب ،والحفصيون قصدوا بانتسابهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اكتساب الصبغة الشرعية لحكمهم وليتميزوا عن غيرهم من البربر بالنسب الشريف[2]،ويذكر ابن خلدون في هذا الصدد:<<إنَ هذا النسب القرشي وقع في المصامدة والتحم بهم ،واشتملت عليه عصبية شأن الأنساب التي تقع من قوم إلى قوم، وتلتحم بهم.>> [3].

[1]- الصلابي محمد علي، **دولة الموحدين**، د ط، دار النشر مؤسسة اقرأ، د م ن ،2006،ص353.

[2]- المبيطي المسعودي، مرجع سابق ،ص10.

[3]- ابن خلدون، ج6، مصدر سابق،ص371.

2- النشأة والتطور:

كان من بين أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة الموحدية، ثورة ابن غانية في البلاد الإفريقية[1] ،وهذا يمثل فصل مأساوي في تاريخ دولة الموحدون ،وقد دخل أُمراء بنو غانية[2] الأوائل في طاعتهم وخطبوا بأسمائهم، لكن هذا لم يدم طويلاً إذ سرعان ما تغير الوضع، بعد وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وبداية خلافة أبو يوسف يعقوب المنصور(1184-1198م).[3]

حيث وجد هؤلاء فرصة لتحقيق مآربهم، فخلعوا محمد بن إسحاق عن الحكم ،وولوا عليهم علي بن إسحاق، ضف إلى ذلك الظروف التي كانت تمر بها دولة الموحدون خاصة بعد انهزامهم في معركة "شنترين" ،ومقتل الخليفة ومعارضة مبايعة بعضهم الخليفة الجديد أبو يوسف.[4]

فكل ذلك شجع علي بن إسحاق إلى التمرد على دولة الموحدون ،وأكثر من ذلك خرج مع الأسطول ونزل في مدينة بجاية واستولى عليها[5] ويذكر المراكشي:<< أنّه خرج الميرقيون بنو غانية من جزيرة ميروقة، قاصدين مدينة بجاية فملكوها وأخرجوا من بها من الموحدين ،وهذا أول إختلاف وقعت فيه دولة المصامدة.>> .[6]

واستطاع علي بن غانية أن يدخل بجاية وذلك بمساعدة بعض سكانها كما دارت بينه وبين بعض الرعيّة حرب، لكنّها لم تستمر طويلاً ،وانتهت الحرب باستلاء ابن غانية على بجاية[7] ثم استولى على الجزائر ثم مليانة ومازونة ودخل آشير،وبث في البلاد عمالاً وحكاماً من رجاله ،وقصد قسنطينة وحاصرها[8]،وكان من بين أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط بجاية،هو أن أبا ربيع

---

[1]- أحمد مختار العبادي، **تاريخ المغرب والأندلس**، د ط، دار مؤسسة شيات الجامعة، 2008 ، ص121.

[2]- **بنو غانية**:هم رجولين أحدهما يحي والأخر محمد بن علي، من قبيلة ميروقة يعرفان ببني غانية وهي أمهما، أُنظر المراكشي المعجب، مصدر سابق، ص223.

[3]- الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق ،ص ص 173-176.

[4]- روباربرنشفيك،ج1، مرجع سابق، ص36.

[5]- الغناي، مرجع سابق، ص177

[6]- المراكشي، مصدر سابق، ص194

[7]- الغناي، مرجع سابق، ص177

[8]- عبد الله بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، دار الجيل، بيروت لبنان، 1408هـ 1988م،ص191.

سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن والي بجاية خرج إلى مراكش، فكان سقوط بجاية في19 من صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.[1]

والسبب المباشر الأخر والقوي، هو تعرض إفريقية في عهد الموحدون إلى هجوم حملات عسكرية قادمة من مصر في العهد الأيوبي بقيادة[2] "قراقوش"[3] القائد والوزير الأيوبي ،وكان هدفها هو احتلال بعض المناطق حتى تكون خط دفاعي يحمي مصر الأيوبية من الموحدين للإستلاء على مصر والمشرق.[4]

كما تحالف كل من قراقوش و ابن غانية ،وتمكنوا من السيطرة على العديد من المناطق في إفريقية وبعد سماع الخليفة الموحدي بذلك، أرسل جيش سنة(583هـ،1187م) وجرت المعركة في قفصة[5] غير أن الهزيمة كانت من نصيب الموحدين [6].

وبعد هذه الواقعة أقبل الخليفة نفسه من تونس وانتصر في الحامة، ثم استولى على قابس[7]وحاصر مدينة قفصة وهدم أسوارها[8]وذلك في سنة (583 هـ-1187م) وفرّ قراقوش إلى الصحراء[9] ،وتوفي علي بن إسحاق وقيل أنّه أصابه سهم سنة (585هـ-1189م).[10]

لكن قراقوش عاد من جديد وثار في قابس، كما استولى على النصف الجنوبي من إفريقية إلّا أنّ ابن غانية تصدى لقراقوش واستولى على المهديّة وعلى تونس سنة (600هـ-1203م)، ولمّا قدم الناصر إلى إفريقية فرّ ابن غانية إلى الصحراء ،وأرسل الناصر الموحدي عبد الواحد بن أبي

---

[1]- الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق،ص177.

[2]- مبيطي المسعودي، مرجع سابق، ص 13.

[3]- **قراقوش**:لفظ تركي معناه العقاب، وهو اسم الطائر الجارح المعروف بقراقوش، ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، أُنظر مراجع العقيلة الغناي، سقوط دولة الموحدين، مرجع سابق ،ص187.

[4]- مبيطي المسعودي، مرجع سابق، ص13

[5]- **قفصة**: هي مدينة قديمة بناها الرومان ،وبقيت في أيديهم وفتحها المسلمين ودمروا أسوارها، لكنهم لم يدمروا القصبة وهي وهي مبنية بالحجر العظيم ،أُنظر حسن الوزان أبو علي بن محمد الفاسي ،**وصف إفريقيا**، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر ج2،ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان بيروت، 1883م ص 143.

[6]- الغناي ، سقوط دولة الموحدين، مرجع سابق ص217.

[7]- روباربرنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص ص38-39

[8]- الحميري، مصدر سابق، ص192.

[9]- روباربرنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص39.

[10]- الحميري، مصدر سابق، ص192.

حفص على رأس جيش، والتقى مع ابن غانية في معركة "تاجر "(601هـ-1204م) فهزمه.[1]

ويذكر ابن عذارى المراكشي:<< بأن الناصر لما خرج إلى إفريقية[2] في وسط جمادى الآخرة سنة إحدى وستمائة أمر بتجهيز عسكر وقدّم عليه أميراً، وهو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبو حفص، فخرج من ظاهر المهديّة على هيئة رائقة من الأقدار والعدو بأقدار قابس، قد تكاملت أعداده واستوفت حشوده، وهنا دارت حرب بينهم واستولى الموحدون على تلك الأموال.>>.[3]

وأثناء عودة الناصر إلى" إفريقية "تونس "خشيَ من عودة الاضطرابات، ورأى أنّه ليس بإمكانه ذلك إلّا إذا عين والياً على إفريقية صهره و وزيره[4]،وبعد دخوله المدينة خرج إليه أهل إفريقية رافعين أصواتهم بين يديه، إشفاقاً من عودة ابن غانية إليهم فاستدعى وجوههم وكلمهم بنفسه وقال:" إنّا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم... وهو فلان فتباشر الناس بولايته".[5]

وقبل اختيار الناصر للشيخ ابن أبي حفص،كان قد تحدث مع أشياخه فيمن يترك على إفريقية، فأجمعوا عليه جميعهم.[6]

ومن بين الشروط التي اشترطها عبد الواحد قبل توليه إفريقية هي:

1- أن يقيم ثلاث سنين ريثما تترتب الأحوال ،وتنقطع أطماع بني غانية عليها.[7]

2- أن يحكمه الناصر فيمن يبقيه معه من الجند ويرضاه من أهل الكفاية.

---

[1]- مبيطي المسعودي، مرجع سابق،ص15.

[2]- **إفريقية**: سميت بإفريقية لأنها فرقت بين المشرق والمغرب، وقيل سميت إفريقية باسم أهلها ،وهم أفارقة، أُنظر، ابن أبي دينار، مصدر سابق،ص16.

[3]- ابن عذارى أبو العبا س أحمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، تح، محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان1406هـ /1985م، ص ص245-246.

[4]- محمود السيد، مرجع سابق، ص86.

[5]- أبو لعباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح، جعفر الناصر ومحمد الناصري، ج2، د ط، دار الكتاب الدار البيضاء 1454،ص194.

[6]- محمد مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح، علي الزاوي ومحمد محفوظ،مجلد1،ط1،دار الغرب الإسلامي لبنان1988،ص543.

[7]- العبادي، مرجع سابق،ص121.

3- أن لا يتعقّب أمره في ولاية ولا عزل، فقبل الناصر شروطه ومن هنا ورث الملوك الحفصيون تونس.[1]

وبعد تعيين الناصر بن أبي حفص عبد الواحد عزم على الانصراف من تونس، بعد أن هدّئها وأقام عليها الشيخ عبد الواحد وكلفه بذلك في رمضان سنة (603هـ-1206م)[2]،ومنحه جميع السلطات ليستقل بولاية إفريقية حيث عمل عبد الواحد على نشر العدل والهدوء في البلاد التونسية،[3]كما قام بإعادة تنظيم الجيش ،وتمكن من ضمان الاستقرار والاطمئنان في البلاد وذلك وذلك بمساعدة ابن نخيل محمد بن أحمد ،وبعد وفاة الناصر امتنع عبد الواحد عن مبايعة ابنه أبو يعقوب يوسف[4]،وتوفي عبد الواحد يوم الخميس في محرم عام (618هـ-1221م) بتونس ودُفن بقصبتها بعد صلاة الصبح.[5]

ثم خلفه ابنه أبو زكرياء بن الشيخ بن محمد عبد الواحد،حيث قبض على أخاه الأمير عبد الله يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب من سنة (625هـ-1228م)،ووجهه إلى المغرب في البحر وبقي يشيّد أمور اشتغاله بالملك شيئاً فشيئاً.[6]

كما ألقى أبو زكرياء القبض على المأمون في مراكش وأعلن طاعته إلى يحي بن الناصر الخليفة الثاني للموحدين ،وعندما أدرك ضعف المأمون يحي من القضاء عليه أهمل ذكر يحي بن الناصر في الخطبة ،واقتصر على ذكر الإمام المهدي وتلقّب بالأمير[7]،وأعلن انفصاله عن هذه الدولة في المغرب سنة(626هـ-1228م) ،كما قطع عنهم الخطبة وبذلك انفصلت إفريقية عنها وتأسست الدولة الحفصية.[8]

---

[1]- الصلابي ، مرجع سابق، ص354.

[2]- الزركشي، ج2، مصدر سابق، ص164.

[3]- محمود السيد، مرجع سابق، ص86.

[4]- روباربرنشفيك، ج1،مرجع سابق،ص46.

[5]- الزركشي، مصدر سابق، ص165.

[6]- نفسه، ص241.

[7]- الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق، ص280.

[8]- شيت خطاب، مرجع سابق ،ص 233.

3-انفصال الحفصيين عن الموحدين:

اجتمعت العديد من العوامل التي كانت سبباً في انفصال الحفصيين عن الموحدين،أولها ثورة ابن غانية حيث جاءوا من شرق الأندلس[1] لتحطيم الموحدين ،وثانيها الأيوبيين وزعيمهم قراقوش الذين حاولوا إيجاد نقطة ارتكاز في بلاد المغرب ليقفوا في وجه الموحدين ،ومنعهم من غزو مصر والمشرق، بالإضافة إلى قبائل بني هلال وبني سليم التي كانت تنشر الفوضى، والتي استغلها العديد من العناصر لتحقيق أطماعهم.[2]

وكذلك معركة العقاب، التي هزم فيها الموحدون شر هزيمة وذلك عام(609هـ-1212م)قرب حصن سالم في الأندلس،[3]حيث أنّ الناصر بقي صامداً في وجه العدو إلا أنّ الهزيمة حلت بجيشه بجيشه وتمكن العدو من اختراقه وقتل الابن الأكبر للخليفة الناصر،وتحمل الناصر مسؤولية الهزيمة وقدر عدد من استشهد في معركة العقاب من المسلمين بمائة ألف والنصارى خمسين ألف.[4]

وكانت هذه المعركة واقعة مشؤومة، لأنّ مماليك اسبانيا استولت بعدها على أكثر من الأندلس حتى لاح شبح فناء الأندلس من جراء هذه الكارثة[5] ،وأصاب المسلمين ضربة شديدة وعمت الخلافات والفتن وقام النصارى بضرباتهم المتوالية فاستولوا على اشبيلية[6]جيان مرسية.[7]

---

[1]- **الأندلس**:هو الإسم العربي لشبه جزيرة ايبيريا، فكان أول ظهوره عند العرب، حيث سميت عند اليونان ايبيريا والرومان اسبانيا، أُنظر ج،س،كولان، **الأندلس** ،ترجمة ابراهيم خورشيه واخرون، ط1،كتب دار المعارف الإسلامية ،بيروت ،لبنان 1980مص17.

[2]- الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق، ص224.

[3]- الجيلالي، ج 2، مرجع سابق ،ص42.

[4]- محمود السيد، مرجع سابق،ص87.

[5]- عبد المحسن طه رمضان، **تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة**، ط1،دار الفكر، عمان، 1432هـ /2011م، ص 424.

[6]- **اشبيلية**:هي مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاث أيام ،وهي مدينة قديمة أزلية ويقال أن الذي بناها هو يوليوس يوليوس القيصر، وسبب بنائها هو أنه لما دخل الأندلس أعجبه كرم أهلها وطيبة أرضها، أُنظر عبد الله بن عبد المنعم الحميري، مصدر سابق، ص19.

[7]- محمود السيد، **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دت،ص67.

وكذا ضعف أخلاق الخلفاء الذين جاءوا بعد الناصر، فبعد وفاة هذا الأخير تولى بعده الحكم ابنه يوسف، وكان صبياً لا يزيد عمره عن عشر سنوات، فاستغل رجال الدولة صغر سنه فكثرت الرشوة والاستبداد ،واندلعت الفتن الداخلية في الأندلس.[1]

ونتيجة لهذه العثرات التي شهدتها الدولة الموحديّة،أدت إلى انقسام المغرب إلى ثلاث دويلات بني مرين غرباً ،ودولة بني حفص شرقاً، ودولة بني زيان في الوسط ،وكانت تسعى كل واحدة منهم إلى بسط نفوذها وسلطانها.[2]

وكانت البدايات الأولى لانفصال الحفصيين عن الموحدين، منذ تعيين الناصر المولى أبا محمد عبد الواحد على إفريقية، حيث أنه واجه ابن غانية وهزمه في معركة "تاجر" من جهة قابس حيث تمتع بشبه استقلال عن الموحدين،[3] إلا أنّ الانفصال الحقيقي للحفصيين كان بعد ارتقاء أبو زكرياء إلى الحكم[4]حيث أنّه أعلن انفصاله عن الدولة الموحديّة في المغرب سنة(625هـ-1228م)مستقلاً بحكم المغرب الأدنى "إفريقية" وفي هذا يقول ابن خلدون :<< و كان الأمير أبو زكرياء يحي بن عبد الواحد بن أبي حفص منذ أن دعا لنفسه بتونس سنة خمس وعشرين وستمائة طمُوحاً إلى ملك مراكش مقر الدعوة ومنبعث الدولة وأصل الخلافة>>.[5]

حيث تمكن أبو زكرياء من أن يسيطر على إمارته ويقضي على أعدائه ،والسيطرة على العديد من المناطق وتوسيع ملكه وتمّ اختيار أبو زكرياء عن طريق بيعتين الأولى كانت سنة (625هـ-1228م)، والبيعة الثانية (634هـ-1236م) ،وعند هذه الأخيرة تسمى بالأمير وكان له دور كبير في قيام الإمارة الحفصيّة،[6]حيث بايعته كل من الأندلس (635هـ-1237م)غرناطة،

---

[1]- محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، د.ط، دار الغرب الإسلاميبيروت1406هـ/1986م،ص ص94-95.

[2]- الجيلالي، ج 2، مرجع سابق ،ص42.

[3]- ابن الشماع، مصدر سابق، ص49.

[4]- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، ط4، ج7، دار المكتب الإسلامي، بيروت، 1411هـ-1991م،ص226

[5]- عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج2، ط1، شركة أبناء الشريف الأنصار للنشر، بيروت،1428هـ/2007م بيروت،1428هـ/2007م ص 2186.

[6]- السعيد بحري،**الشعر في ظل الدولة الحفصية**،ط1،دار بهاء الدين للنشر،الجزائر2009،ص ص26-27.

واشبيلية(643هـ.1245م) وبيعة مكة (657هـ-1259م)والمرنيين(668هـ-1269م)،وهذا ما زاد من نفوذ الحفصيين في المشرق والمغرب.[1]

وأول ما وقع بيد الحفصيين ولاية قسنطينة وبجاية، فاستسلم أهلها إلى السلطان أبو زكرياء(628هـ-1230م)،كما استولى على الجزائر و الشلف وما يليها من الجهات الغربية في سنة(636هـ-1238م)[2]حيث أنّ أبو زكرياء منذ أن استقل بتونس واقتطعها من الإيالة المأمونية كان متطاولاً إلى اجتياز المغرب.[3]

وبعد ضمه العديد من المناطق أصبح الامتداد الجغرافي للإمارة الحفصية يشمل مقاطعتي الجزائر، قسنطينة، وهران ،وهي تنقسم إلى أربع ولايات بونة عنابة بجاية الزاب ،وخط الجنوب إلى ما وراء وارجلة وركلة[4]،وكان لإفريقية موقع مميز لقول البكري في وصفها:<<ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل عمرو وبمدينتها خندق حصين>>. [5]

وعمل أبو زكرياء جاهداً للقضاء على ابن غانية الذي كان يظهر من حين لأخر في طرابلس وقسنطينة،كما حرص على إثبات حقوقه في السيادة، وأنّه المواصل لسنّة الموحدين، وأنّه الوريث الروحي لابن تومرت[6]،ومما يدل على أنّ الإمارة الحفصية هي الوريث الروحي والسياسي للموحدين، هو أنّ السكة كانت تحمل العديد من الألقاب التي أطلقت على عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي للدولة الموحديّة قد تواصل نقشها على السكة الحفصية فيما بعد.[7]

كما نشر أبو زكرياء العديد من الجواسيس في المغرب الأقصى،لكي يكون على دراية بكل الأمور ولا يخفى عنه شيء ،وكان جيشه يبلغ سبعين ألف من الفرسان ،وقيل بأنّه ترك سبعة عشر

---

[1]- بحري، مرجع سابق،ص27

[2]- الجيلالي، ج2،مرجع سابق،ص47.

[3]- ابن خلدون، مصدر سابق ،ج2،ص2114.

[4]- الجلالي ،مرجع سابق، ص 46؛ أُنظر الملحق رقم (1).

[5]- أبي عبيد البكري أبو عبدالله بن عبد العزيز، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، دط،تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية الجزائر،1432هـ-2011م،ص42؛أُنظر الملحق، رقم(2).

[6]- روبار برنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص51.

[7]- صالح بورقيبة، **أبحاث ودراسات في تاريخ وأثار المغرب الإسلامي وحضارته**، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2011 م ص،108.

بيتاً من المال، وترك من كتب العلم ستة وثلاثين ألف صفر[1]،وأقام القصور والأسواق، وأسند الحُكم إلى بعض أقربائه وبعض الموحدين.[2]

وخلاصة القول أنّ النواة الأولى لقيام الإمارة الحفصية هو الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص الذي استطاع اثبات وجوده في إفريقية بعد تعيينه من قبل الخليفة الموحدي الناصر ،غير أنّ المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة هو أبو زكرياء الحفصي ،بعد أن أعلن انفصاله عن الموحدين بشكل رسمي، كما استطاعوا اكتساب الصبغة الشرعية لحكمهم بانتسابهم إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

[1]- ابن الشماع،مصدر سابق،ص57.

[2]- روبار برنشفيك، ج1،مرجع سابق ،ص53.

المبحث الثاني: الدور السياسي والعسكري للإمارة الحفصية في حوض البحر الأبيض المتوسط

1- الصراع مع القوى الإسلامية في حوض البحر المتوسط

أ- مع المرينيين

ب- مع الزيانيين

ج- مع الأندلس

2- الصراع مع القوى النصرانية

3- الصراع مع الحوض الشرقي

1- الصراع مع القوى الإسلامية في حوض البحر المتوسط:

بعد قيام الدولة الحفصية، كانت هناك قوى إسلامية متنافسة فيما بينها ،ولم تعترف هذه القوى ببعضها البعض، حيث استمر الصراع بينهم في حوض البحر الأبيض المتوسط ،وقد تضاربت قواتهم الحربية والسياسية فلم ينحسم النزاع لأي طرف،ومن أبرزهم نجد المرينيين والزيانيين.[1]

أ-مع المرينيين:[2]

لم تكن العلاقة بين الدولتين الحفصية والمرينية متصلة دائماً،بل تخللتها فترات حروب وصراعات، والظاهر أنّ بني مرين منذ أول أمرهم كانوا يبايعون الحفصيين، فقد أرسلوا بيعتهم إلى أبو زكرياء[3] سنة(643هـ-1245م) كما أقنعوا أهل مكناس الذين كانوا تابعين إليهم على بيعته واستولى بني مرين على مدينة فاس بموافقة الأمير الحفصي،وكانوا تابعين إليه رسمياً ،وانضمت إليهم تازة ومكناس وفيما بعد الرباط وسلا.[4]

وفي عهد المستنصر أعلن بنو مرين مبايعتهم له طالبين منه المعونة والمساعدة، ولكن موقفهم هذا كان سوى مناورة لإيجاد حليف[5] مساند ضد المرتضى الموحدي ،وقد بعث بنو مرين سنة(652هـ-1254م) إلى المستنصر بيعة أهل فارس فوافق المستنصر.[6]

واستمرت العلاقة الطيبة بين الطرفين خاصة بعد سيطرة الزيانيين على تونس ،وهنا استنجد أبو يحي أبي بكر بالمرنيين ،وهذا زمن السلطان أبي سعيد عثمان المريني ،وتمكن هذا الأخير من استعادة الحفصيين لملكهم في تونس سنة(730هـ-1329م)،[7] ولاستمرار العلاقة الوديّة بين

---

[1]-محمد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،ج2، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص154.

[2]- **المرينيون**: وهم فخذ من زناتة وهم ولد مرين بن مجرز بن مخوخ بن وجديج بن وافتن ،وهم سيوف الإسلام ،أنظر علي ابن زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، د.ط، دار منصور، الرباط ،1392هـ،1972م،ص15

[3]- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي،<<**التاريخ الإسلامي**>>، أطروحة ماجستير المشرف عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل، د.ت، ص55.

[4]- روباربرنشفيك، مرجع سابق،ص ص63-64.

[5]- المطوي، مرجع سابق،ص87.

[6]- نفسه، ص188.

[7]- سالم أبو لقاسم غومة،<<**العلاقة السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط**>>،المجلة الجامعة، العدد الثامن عشر، المجلد الثاني، دار جامعة الجيل الغربي مايو2016،ص46.

الطرفين،زوج السلطان الحفصي أبو بكر ابنته فاطمة إلى أبي الحسن ،ويمكن أن نطلق على هذا الزواج ، "الزواج السياسي".[1]

وبعد هذه المصاهرة قام الزيانيون بمهاجمة بجاية،حيث طلب أبو بكر الحفصي المساعدة من صهره الحسن فأمده بالجيوش البرية والبحرية(732هـ-1331م)،كما قام الحفصيون بمساعدة المرينيين في حربهم ضد النصارى،[2]في معركة "الملند" البحرية سنة (740هـ-1340م) وهي من أشهر المعارك البحرية الإسلامية حيث نجد أنّ السلطان المريني أبو الحسن قرر تجهيز قوة بحرية ضد العدو النصراني حيث طلب المساعدة من الحفصيين فأمدوه 16 بست عشرة من أساطيلهم وتمكن المسلمين من تحقيق النصر[3]،وهذا النصر يشير إلى التلاحم بين القوة البحرية الحفصيّة والمرينية .

وعند وفاة أبي بكر كتب حاجبه تافراجين إلى أبي الحسن المريني طالباً منه المساعدة،وفي هذا يذكر ابن الشماع:<<وكان الحاجب بن تافراجين لما فر إلى المغرب ،وفد إلى السلطان أبي الحسن المريني رغبة في ملك إفريقية واستحثه للقدوم إليها...>> [4]

فبعد وفاة أبي بكر دار نزاع حول الحكم بين الأمير عمر وأخوه أبا العباس، ولما علم الحسن المريني بقتل الأمير عمر لأخيه أبا العباس، أجمع على السيطرة ومدّ نفوذه إلى إفريقية واستخلف على المغرب الأوسط"تلمسان" إبنه أبي عنان ،وذلك في سبع وأربعين وسبعمائة وتحرك هو إلى إفريقية.[5]

وفي خضم هذه الأحداث، ثار عليه العرب في إفريقية وابنه أبا عنان الذي كان طموحه كبير الذي تحدى إمكاناته المادية والعسكرية ،ولهذا اضطر إلى تسليم الممالك الحفصية فعادت إلى أهلها سنة (750هـ-1349م) وفي سنة(754هـ-1354م) [6]اتجه أبا عنان إلى بجاية بأسطوله فاستولى عليها، ثم قام بمحاصرة قسنطينة عدة أشهر فسقطت على يده[7]،كما قام بإرسال أسطول بحري

---

[1]- العروى، مرجع سابق، ص ص 362.361.

[2]- غومة، مرجع سابق، ص46.

[3]-ابن خلدون ،ج7، مصدر سابق ،ص ص 346.345.

[4]- ابن الشماع، مصدر السابق،ص94.

[5]- الزركشي، مصدر سابق، ص82.

[6]- عبد العزيز فلالي، **تلمسان في العصر الزياني**،ج1، د.ط، دار النشر تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،الجزائر،2011م ص52.

[7]- المبلي، مرجع سابق،ج2،ص407.

إلى المهدية لمساندة أبي يحي زكريا شقيق السلطان أبي إسحاق ،وتمكنت القوة البحرية والبرية من السيطرة على عنابة.[1]

وبهذا تحقق حلمه ببسط نفوذه على ربوع المغرب الإسلامي من المحيط الأطلسي غرباً إلى أطراف إفريقية الشرقية سنة(758هـ-1357م)، إلا أنّ أبا عنان لم يتمتع كثيراً باتساع دائرة نفوذه وانتصاراته لأنه اضطر في الأخير إلى مغادرة إفريقية والمغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى لإخماد الثورات التي قامت ضده ،وسحب معه أغلب جيشه وأسطوله المرابط في مناء تونس.[2]

وبعد فشل مشروع أبي عنان رجعت إفريقية إلى الحفصيين سنة(761هـ-1360م)،حيث قدم أبو إسحاق من تونس إلى بجاية وحضي باستقبال رائع ،وقد استقبله ابن تافراجين بحفاوة،[3] وكانت المعركة الحاسمة بين أبي الحسن والأعراب بالقيروان، لصالح القبائل العربية،وأدت هذه المعركة إلى وفاة الحسن.[4]

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:<<وكان السلطان أبو الحسن بعد واقعة القيروان وحصار العرب إياه قد طال مقامه بتونس واستدعاء أهل المغرب الأقصى ،وانتفض أهل بلاد الجريد، وبايعوا الفضل بن مولانا السلطان يحي فأجمع الرحلة إلى المغرب، وركب السفن من تونس أيام الفطر سنة خمسين وسبعمائة، فعصفت به الرياح فأدركه الغرق...>>.[5]

بالإضافة إلى هذا فقد وصل الأسطول المريني إلى تونس مرة أخرى في سنة (778هـ-1357م)،فطاردهم الشيخ أبو محمد بن تافراجين وهزمهم[6]، كما تمكن الجيش المريني من دخول تونس في انتظار وصول أبي العنان الذي لم يكتب له الوصول وتوفي على يد أحد وزرائه في أواخر سنة(759هـ-1358م).[7]

---

[1]- روبارىرنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص209.

[2]- فلالي، مرجع سابق ،ص52.

[3]- روبارىرنشفيك،ج1مرجع سابق، ص ص208-209.

[4]- العروى، مرجع سابق، ص363.

[5]- ابن خلدون،ج2، مصدر سابق، ص2143.

[6]- ابن الشماع، مصدر سابق، ص103.

[7]- العروي، مرجع سابق، 364.

وشهدت العلاقة بين المرينيين والحفصيين بعد هذه الواقعة نوع من التحسن ،وذلك لقيام السلطان المريني بإعادة السلطان الحفصي أبي العباس أحمد المنفي[1]، وتسليمه مقاليد الحكم، لكن العلاقة الحسنة لم تدم طويلاً ،وذلك لوجود عناصر معارضة للسلطان الحفصي.[2]

وفي خضم هذه الظروف عزم الحفصيون على استرجاع ملكهم الضائع ،وعادوا من جديد فاحتلوا تلمسان مرة أخرى ،واستعادوا ملك بسكرة وقسنطينة[3] كما عاد إبراهيم الثاني الحفصي إلى بجاية، ومنها إلى تونس تحت وصاية الحاجب بن تافراجين، ذلك الرجل الذي استطاع بدهائه أن يبقى على إدارة الدولة الحفصية إلى غاية سنة(766هـ-1364م)،[4]وبذلك يكون المرينيون قد حكموا "تونس"، وارتفع شأنهم مدة عامين ونصف، ثم عادت إلى أصحابها الحفصيين.[5]

ب-مع الزيانيين:

بني زيان هم حكام تلمسان المعروفين ببني عبد الواد[6]، وبنو زيان يدخلون ضمن من يسميهم ابن خلدون بالزناتة[7]،وكان مؤسسها يغمراسن بن زيان(633هـ-681هـ)،(1238م-1282م)،[8] وقد دخل الزيانيون في صراع مع الحفصيين في حوض البحر لأن الحفصيين كانوا يطمعون في أن يرثوا ملك الموحدين ،وهنا اضطر يغمراسن مؤسس الدولة أن يتفاهم مع الحفصيين الذين حاولوا بسط نفوذهم على المغرب الأوسط.[9]

ففي عهد أبو زكرياء الحفصي كان يشعر بتخوف من الزيانيين، نتيجة العلاقات الحسنة والطيبة التي كانت بين يغمراسن والخليفة الموحدي ،واعتبر السلطان الحفصي هذا تهديداً لسلامتهم

---

[1]- غومة، مرجع سابق،ص50

[2]- نفسه ،ص50.

[3]- الجيلالي، مرجع سابق،ص60.

[4]- العروى، مرجع سابق،ص364.

[5]- الجيلالي، مرجع سابق ،ص59.

[6]- محمد الأمين، ومحمد علي الرهماني، **المفيد في تاريخ المغرب**، د.ط، دار البيضاء، الجزائر، د.ت، ص164.

[7]-ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تع، هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، د.م.ن، 2001 ص05.

[8]- صابرة خطيف، **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**، ط1، جسور للنشر، الجزائر،1432هـ1011م، ص ص100.98

[9]- شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، مكتبة الأنجلو، القاهرة،1977،ص ص34-35.

واستقرارهم فنهض إلى تلمسان ودخل المدينة[1]،وذلك في شهر شوال تسع وثلاثين وستمائة حيث تحرك في جيش قُدّر بأربعة وستون ألف من الفرسان، فحاصر تلمسان وأخذها عنوة في شهر ربيع الأول من سنة أربعين وستمائة[2] على صاحبها يغمراس بن زيان الذي فرّ من المدينة إلى الصحراء [3]،وظلت دعوة يغمراسن للموحدين بمراكش مستمرة ،ولبعض الأسباب السياسية أجبر منذ سنة(640هـ-1242م)على الدعوة للحفصيين على عهد السلطان أبو زكرياء الحفصي.[4]

وقرر السلطان الحفصي المستنصر في سنة(673هـ-1274م) بعد أن طلب منه يغمراسن الصلح أن يوجه ضربة إلى الجزائر ،وذلك بعدما ضمن لنفسه حياد صاحب تلمسان يغمراسن فأصدر إذن إلى القوة العسكرية بالتحرك بقيادة أبي الحسن ياسين ،وتمكن من السيطرة على هذه المدينة،[5]كما تحالفت الإمارة الزيانية مع أمير تونس أبو بكر(709-711هـ)،(1309-1311م) ضد أبي حمو موسى الأول(708هـ-1308م) وهاجموا سواحل المغرب الأوسط.[6]

واستمرت العلاقة الطيبة في عهد أبي إسحاق مع جاره يغمراسن، الذي أحسن استقباله واعترف بوقت مبكر ببيعته له ،وعمل صاحب تلمسان هذا على توطيد العلاقة وذلك بواسطة المصاهرة، ففي سنة 1282م أوفد يغمراسن إلى تونس ابنه عامر إبراهيم،[7] مرفوقاً بوفد هام لخطبة إحدى بنات أبي إسحاق ،ونجح في ذلك وحظي أبا عامر باستقبال رائع في إفريقية.[8]

فالعلاقة الحفصية الزيانية بدأت تدخل مرحلة التأزم والصراع ،وذلك في عهد أبي مالك عبد الواحد الزياني ،ونتج عن ذلك هيمنة الحفصيين على بلاد المغرب الأوسط، حيث خرج أبو

---

[1]- فاطمة الزهرء عمارة،<<**المدارس التعليمية باتلمسان خلال القرنين 8،9هـ،14** 15،م>>،أطروحة ماجستير،المشرف محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، وهران،1430-1431هـ،2009-2011م،ص10.

[2]-الزركشي، مصدر سابق،ص30.

[3]- نفسه،ص30.

[4]- خطيف، مرجع سابق، ص102.

[5]- روبابرنشفيك، مرجع سابق، ص99.

[6]-لطيفة بشاري،<<**العلاقات التجارية بين إمارة بني عبد الواد ومملكة أرغوانة**>>،مجلة الإتحاد العام للآثرين العرب، العدد16د م ن ،دت،ص106.

[7]- روبابرنشفيك،ج1،مرجع سابق،ص ص115-116.

[8]- نفسه، ص116.

فارس بجيش متجه إلى تلمسان سنة(827هـ-1424م) ،وقام بمحاصرة المدينة، فهرب منها السلطان الزياني تاركاً إياها للجيش الحفصي، ثم خرج منها بعد أن عين عليها محمد بن تاشفين الثاني.[1]

إلا أنّ محمد بن تاشفين الذي نصبه السلطان أبو فارس لم يستمر في طاعته للحفصيين وفي سنة(832هـ-1429م) أعلن استقلاله عن السلطان الحفصي وأزال اسم أبي فارس من الرسائل وخطب الجمعة والأعياد وهذا ما دفع السلطان أبا فارس إلى إرسال جيش حفصي ضد صاحب تلمسان،[2] فزحف إليه قائد قسنطينة العُلج"جاء الخير"حاكم قسنطينة بأسطوله وجيشه فانهزم الجيش الحفصي،واضطر للعودة إلى بلاده، وكل هذه الأحداث دفعت بالسلطان الحفصي أبو فارس إلى دخول تلمسان سنة(834هـ-1431م).[3]

وقام أبو فارس بحصار تلمسان مرة ثانية، حيث أرسل حملة عسكرية إليهم، فحاصرهم إلى أن طلبوا منه الأمان على أن يمكنوه من الأمير محمد بن أبي تاشفين، فأحضروه إلى المولى أبي فارس فعفى عنهم وقبض عليه واعتقله إلى أن تُوفيَ ،وقبل العودة إلى تونس عين عليها أحمد بن أبي حمو الزياني المعروف باسم أحمد العاقل، وذلك سنة(834هـ-1431م).[4]

ويبدو أنّ "العاقل" أحسّ بقوة مركزه، لذا فكر في خلع طاعته لبني حفص ووجد الفرصة عندما تعرضت جزيرة جربة للاحتلال المسيحي(837هـ-1436م) فقطع الدعاء عليهم، فسير أبو فارس حملة عسكرية أخرى إلى المغرب الأوسط لتأديب العاقل ،ولمّا علم العاهل أبو عمر عثمان الحفصي بما يجري في تلمسان جهز جيش كبير لاحتلال تلمسان ،وذلك في فترة السلطان أبو ثابت محمد المتوكل على الله الزياني، إلا أنّه اضطر إلى العودة إلى بلده بعد أن أعلن هذا الأخير طاعته له،وذلك في سنة(867هـ-1462م).[5]

ولكن محمد المتوكل على الله لم يكن صادقاً، حيث حاول الخروج عن طاعة الحفصيين وقد حاول ابن عبد الوادي التفاهم مع زعماء الأعراب المتمردين بإفريقية، ثم نهض أبو حفص عمر بنفسه إلى تلمسان وأحاطها بالعساكر ،وقدم له الهدايا والاعتذارات لأبي عمر وزوج ابنته البكر

---

[1]- فلالي، مرجع سابق ،ص70.

[2]- المطوي، مرجع سابق،ص587.

[3]- روبارىرنشفيك،ج1، مرجع سابق،ص256.

[4]- المطوي، مرجع سابق،ص588.

[5]- فيلالي،مرجع سابق، ص ص 73.71.

للأمير[1] أبي زكرياء بن مسعود حفيد السلطان ،وضمن وثيقة كتابية بتاريخ 14 ربيع الثاني871هـ 23 نوفمبر1466م ،وظلت أوضاع الدولة الزيانية على هذه الحالة تخضع للنفوذ الحفصي وسلاطينهم عليها، إلى أن توفي المتوكل سنة(873هـ-1468م) وخلفه ابنه أبو تاشفين الثالث.[2]

وتعتبر الدولة الزيانية أكثر تأثيراً بالصراع ،وأكثر عُرضة له وذلك بسبب موقعها الجغرافي الوسطي بين الدولة الحفصيّة والمرينية ،وبالتالي تعرضت للضغط المستمر،وظلت حدودها في مد جزر، وهذا الصراع خلف حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني بالمنطقة وأهدر طاقات كبيرة كان من الأجدر استغلالها في مواجهة العدو النصراني، الذي كان يتربص بالمنطقة.[3]

ج-مع الأندلس:

أمّا فيما يخص علاقة الحفصيين بالأندلس، فقد كانت في غالبها ودية، حيث أنّ الأندلوسيين في سنة(635هـ-1238م) وبعد اتساع قوة أبي زكرياء استنجد به أحد ملوك الطوائف المسلمين في بلاد الأندلس زياد بن ماردنيش، حيث كان محاصر في بلنسية من طرف المالك خايم الغازي،[4] فأرسل أمير بلنسية إلى الأمير أبي زكرياء عبد الواحد وفداً برئاسة ابن الآبار يستصرخه لنجدة أهل بلنسية،[5] ووجه ابن الآبار قصيدته السنية إلى أبي زكرياء لإنقاذ مسلمي الأندلس منها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلساً
إنّ السبيل إلى منجاتها درساً
وهب لها من عزيز النصر ما التمست
فلم زَل منك عزيز النصر ملتمساً[6]

لكن أبو زكرياء لم يستطع تلبية جميع الطلبات المقدمة إليه، لأنّه كان يخشى تعرضه للخطر بالتدخل شخصياً في النزاع، واكتفى بإرسال ابن عمه أبي زكرياء يحي بن أبي يحي الشهيد، حيث

---

[1]- روبارىرنشفيك،ج1، مرجع سابق ،ص ص290-291.

[2]- فيلالي، مرجع سابق،ص ص73-74

[3]- بداود عبيدة،<<**قراءة في علاقة تلمسان الزيانية بالدولتين الحفصية والمرينية**>>، ملتقى الدولي، الإسلام في المغرب ودور تلمسان في نشره، الجزائر، مارس2011، ص13.

[4]- روبارىرنشفيك،ج1، مرجع سابق، ص62.

[5]- الصلابي، مرجع سابق،ص357.

[6]- عبد الصمد ، مرجع سابق،ص367.

أرسل معه الأسطول الحفصي، وزودهم بالسلاح عن طريق البحر حيث كان يتركب الأسطول التونسي من اثنتي عشر سفينة حربيّة[1]، لكنّه لم يتمكن من الدفاع عن هذه[2]المدينة نظراً لشدة الحصار المحكم من قبل النصارى، فرجع أعقابه واستسلمت بلنسية(636هـ-1238م)[3]، ويذكر الزركشي في هذا الصدد: <<أنّ أهل بلنسية بايعوا أبا زكرياء صاحب تونس في الرابع المحرم من ستة وثلاثين وستمائة بعد أن كانت واقعة كبيرة قُتل فيها الحافظ أبو الربيع ابن سالم... فاضطر صاحبها زياد بن ماردنيش إلى الاستغاثة بالمولى أبو زكرياء فوجه إليه بعثه.>> [4]

وفيما بعد بدأت تصل البيعات إلى أبي زكرياء من مناطق عديدة في الأندلس ،وذلك في سنة(640هـ-1249م)، كما خضعت له مدن عدة مثل اشبيلية شريش وطريف،[5] كما بايع شرقي الأندلس وثغر المرية الخليفة الحفصي بعد زوال حكم الموحدين بالأندلس.[6]

وطلبت هذه المدن في سنة(641هـ-1243م) من السلطان الحفصي أن يعين لها والياً فأرسل إليها أبا فارس وزوده بالأساطيل، لكنه لم يستطع الدفاع عن اشبيلية رغم المقاومة المستميتة التي دامت حوالي سنتين، فسقطت بين يدي فرديناندو الثالث سنة(646هـ-1248م).[7]

وفي هذه المرة كذلك لم يفلح الأسطول الحفصي في نجدة المحاصرين[8] ،وبقيت بذلك أقاليم الدولة الحفصية بصفة عامة مهجراً لهؤلاء الأندلوسيين، الذين تركوا الأندلس فارين بدينهم من النصارى، فنشط هؤلاء في جميع مجالات الحياة التونسية[9]،ويذكر الشماع:<< أنّه في الأندلس توافد كثير من العلماء، نتيجة لسقوط البلدان العدوة والأندلوسية الواحدة تلوى الأخرى

---

[1]- روباربرنشفيك، مرجع سابق، ص62.

[2]- الصلابي، مرجع سابق، ص357.

[3]- نفسه، ص357.

[4]- الزركشي، مصدر سابق، ص27.

[5]- روباربرنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص62.

[6]- ابن الشماع، مصدر سابق ،ص690.

[7]- روباربرنشفيك، ج1،مرجع سابق، ص ص62-72.

[8]- نفسه، ص62.

[9]- عبد الله علي علام، **الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1119م القاهرة،1119،ص690.

وقد استغل الحفصيون هذه الفرصة وشجعوا الهجرة الأندلوسية ،وحرصوا على استقدام العلماء الذين توافدوا بدورهم لما لاحظوه من تشجيع وعناية واستقرار.>>[1]

وهناك مدينة أخرى قد استسلمت للأمير الحفصي بإيعاز من قائدها ابن الرميمي وهي مدينة "المرية" ،وبعد استيلاء محمد بن يوسف بن الأحمر سنة(643هـ-1245م) تحول ابن الرميمي إلى تونس، أمّا المستنصر ابن صاحب غرناطة فقد دعا للأمير الحفصي في الخطبة وقدم إليه شواهد الطاعة بواسطة سفير.[2]

وفي عهد المستنصر سار على منوال أبي زكرياء الحفصي، فجعل لأهل الأندلس مكانة خاصة ،واتخذ منهم جنداً أعانوه في حربه ضد النصارى الذين حاولوا احتلال قرطاجنة[3] وأضحى الحفصيون القوة الإسلامية التي كان لها دور في إبقاء الحكم الإسلامي في إسبانيا، نتيجة الحركة المستمرة للأسطول الحفصي في حوض البحر ،وازدهرت تونس ازدهاراً كبيراً في هذه الحقبة.[4]

---

[1]- ابن الشماع، مصدر سابق،ص08.

[2]- روباربرنشفيك، ج1،مرجع سابق، ص63.

[3]-ابن الشماع، مصدر سابق،ص08.

[4]- علاّم، مرجع سابق،ص69.

2- الصراع مع القوى النصرانية:

كانت الإمارة الحفصية بعد قيامها مركزاً هاماً مفتوحاً على العديد من الدول في حوض البحر المتوسط خاصة وأنها مدينة جدُ محصنة ومنيعة ،وهذا ما جعلها تدخل في صراع بحري مع القوى النصرانية من أجل السيطرة والتوسع ،واستمرت ذلك فترة من الزمن ونذكر منها:

صقلية[1]:

كانت علاقتها في البداية مع الحفصيين يسودها نوع من الانسجام، وذلك في عهد الإمبراطور فريدريك الثاني الذي عقد معاهدة صُلح مع المستنصر الحفصي ،وهي تقتضي حرية التعايش مع سكان صقلية والجالية الإسلامية ،وكان المستنصر يدفع مقابل تلك الهدنة ضريبة لصاحب صقلية.[2]

وبعد وفاة فريدريك الثاني تخلى المستنصر عن دفع هذه الضريبة لابنه ،وهذا ما أدى إلى دخول المستنصر في صراع عسكري بحري مع ابنه شارل دانجو، خاصة وأنّ المستنصر تدخل في الشؤون الداخلية لصقلية ،وحرض المسيحيين وقشتالة ضد ملك صقلية ،وقد طلب دانجو من المستنصر دفع الضريبة إلاّ أنّ هذا الأخير رفض ذلك فقام دانجو بتحريض أخاه لويس التاسع على القيام بحملة صليبية ضد تونس ،وأن يلتحق به في قرطاج بأسطول بحري قوي.[3]

فرنسا:

لقد حلت بالإمارة الحفصية في عهد المستنصر العديد من المصائب[4]،فبالرغم من المعاهدة التي أبرمها المستنصر الحفصي في سنة(668هـ-1270م) مع ملك فرنسا، حيث سمح للرهبان القساوسة المسيحيين الحق في الإقامة داخل المملكة الحفصية تحت رعاية الدولة الإسلامية ،وكان لهم الحرية في اتخاذ الكنائس والأديرة فانتشروا بكثرة في بجاية وتونس.[5]

---

[1]-**صقلية**:هي جزيرة عظيمة مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى مسيرة سبع أيام، وهي حصنة كثيرة البلدان والقرى ،وبها معدن الفضة والنحاس، أُنظر إلى القزويني، **أثار البلاد وأخبار العباد**، د.ط، دار صادر بيروت، د.ت ص215.

[2]- المطوي، مرجع سابق، ص204.

3- أحمد الطويلي، **في الحضارة العربية التونسية**، دط، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ت، ص55.

4- محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تح، محمد الشاوش ومحمد عجيني،ط3 دار سراس للنشر، تونس،1993، ص54.

[5]- الجيلالي، ج2،مرجع سابق، ص87.

إلاّ أنّ هؤلاء خرجوا عن هذه المعاهدة، فكانت الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع[1] المتحالف مع أخاه شارل دانجو ضد تونس(668هـ-1270م)،[2] وكان نزول الصليبيين بأساطيلهم بقرطاجة يوم18 جويلية1270 وطردوا من فيها من التونسيين، إلاّ أنّ شارل دانجو طلب منهم تأجيل الهجوم حتى يصل إليهم، لكنّهم أسروا على النزول وبلغ الجيش الصليبي ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجال ،وأسطولهم تركب من ثلاثمائة سفينة بين الكبار والصغار.[3]

وعندما سمع المستنصر بهذه الحملة، استعد لمواجهة هذا الهجوم الصليبي، فنادى بالإستعداد للعدو ،وتلى عليهم[4] قوله تعالى:<< انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ>>سورة التوبة الآية41.[5]

وقد تفشى المرض في المعسكر الفرنسي وأصابت الحمى لويس التاسع أدت إلى وفاته [6] وعندما وصل شارل دانجو بأسطول محمّل بالصليبيين والأغذية لدعم هذه الحملة، أحسّ شارل بخيبة ووقوعه في مأزق وجرت بينه وبين المستنصر معركة[7]،وكان المسلمون على وشك الانهزام تماماً، فقد كانت البلاد كلها منهكة القوة بفعل الطاعون، لكن تدخلت العناية الإلاهية فجأة لإنقاذهم ،وكان هذا ابتلاء لقوله تعالى:[8]<< وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ>>،سورة الأنبياء، الآية:35.[9]

وانتهت هذه الحملة في الأخير بتوقيع معاهدة صُلح بين الطرفين وهذه الاتفاقية اشتملت على 19 بند منها:

-ضمان الأمن للمسلمين من رعايا المستنصر في بلاد الإفرنج

---

[1]- الجيلالي، مرجع سابق ، ص87.

[2]- الطويلي، مرجع سابق، ص55.

[3]- المطوي، مرجع سابق، ص204.

[4]- كارين أرمسترونغ، **الحروب الصليبية المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم**، تر، سامي الكعلي، د.ط،دار الكتاب العربي لبنان،2005،ص528.

[5]- **التوبة**، الآية،41.

[6]- محمود السيد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، مرجع سابق،ص87.

[7]- الطويلي، مرجع سابق ، ص65.

[8]-كارين أرمسترونغ، مرجع سابق ، ص528.

[9]- الأنبياء، الآية35.

-الأمن لرعايا الممضين من النصارى في إفريقية.[1]

وأسفرت هذه المعاهدة عن دخول الصليبيين "النصارى" إلى تونس وباعوا واشتروا معهم وبعد يومين أقلع النصارى بأساطيلهم يوم25 نوفمبر1270 إلى صقلية ،وبهذا تكون هذه المعاهدة قد أتاحت فرصة التعامل مع بعضهم البعض.[2]

كما أنّ هذه الحملة أكدت على البعد الإفريقي للويس التاسع[3] ففي اعتقاده أنّ انهزام المستنصر أو تنصيره يعني اندحار الإسلام كله [4] ،ويذكر الشماع أنّ سبب نزولهم على تونس:<<هو إتلاف الأموال التي تركها أبو زكرياء..>> [5] .

جنوة وبيزة:

فقد شهدت السواحل الإفريقية مرات متتالية انعكاسات الحروب بينهما في حوض البحر المتوسط ،والدليل على ذلك أنّ بعض السفن التابعة لبيزة والراسية في سواحل إفريقية تعرضت لهجوم الجنويز حيث استولوا على ثلاث سفن وأحرقوا السفينة الرابعة، ضف إلى ذلك انهم قاموا بمطاردة القراصنة التابعين لبيزة في حوض البحر ،وسيطروا على سفينة ابن آوى التي كانت راسية في خليج تونس..[6]

مالطة:

كما قام الأسطول الحفصي بالهجوم على جزيرة مالطة (832هـ-1429م)حيث أرسل السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/1393-1434م) أسطولا كبيرا بقيادة رضوان وطلب منه أن يحاصرها ثلاث أيام ،وفي حالة عدم سقوط الجزيرة أن يقلع عنها ويرحل وأوشكت مالطة أن تسقط بيد الحفصيين، لكنّ القائد رضوان اضطر إلى العودة طبقا لتعليمات السلطان[7].

---

[1]- الطويلي، مرجع سابق ، ص68.

[2]- نفسه، ص69.

[3]- محمد مؤنس عوض، **عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات**، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية للنشر، د.م.ن، 2005، ص101.

[4]- العروي، مرجع سابق، ص357.

[5]- ابن الشماع، مصدر سابق، ص73.

[6]- روباربرنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص ص122-123.

[7]- الزركشي، مصدر سابق ،ص127.

3- نشاطهم في الحوض الشرقي:

كانت للحفصيين علاقات مع الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ونجدها في أغلبها وديّة، ففي المشرق كانت الخلافة العباسية التي استولى عليها الوهن تعيش سنواتها الأخيرة تحت تأثير الخطر المغولي ،وانتفضت الدولة الأيوبية في مصر سنة(648هـ-1250م)، رغم ذلك بقي الصليبيين يحاولون السيطرة على بيت المقدس.[1]

وإثر انهزام الصليبيين في أنطاكية واستيلاء سلطان مصر الملك"بيبرس"على بلاد سورية هذا ما زاد من شدة حزن الصليبيين، حيث أرسلوا إلى البابا كليمنضوص الرابع يطلبون منه يد العون والقتال باسم الصليب-كذباً وزوراً- فكانت الحملة الثامنة على تونس انتقاماً لما أصابهم من الهزيمة والأسر أيام حملتهم على مصر.[2]

فمنذ السنوات الأولى لوصول الصليبيين إلى بلاد الشام، انخرط الكثير من أهل إفريقية في سلك القوى الإسلامية التي تصدت للغزات ،ولم يكن هؤلاء المجاهدين جيوشاً منظمة، وإنما كانوا جهود أفراد كانت تأتي إلى المشرق لأغراض عدة أهمها،[3]الحج وطلب العلم ،والتجارة وخصوصاً الجهاد، فكان هؤلاء حين يرون اصطدام المعارك بين المسلمين والصليبيين في المشرق تدفعهم الحمية للدفاع عن بيت المقدس ،ويمكن القول أنّ المغاربة ومن ضمنهم أهل إفريقية قد أسهموا في الحروب الصليبية في الحوض الشرقي.[4]

وبعد سقوط الخلافة العباسية(656هـ-1258م) كانت مصر تعيش في كنف الاضطرابات المستمرة، لأنّ سلطانها المملوكي نور الدين لم يستطع أن يشكل سلطة قوية، نظراً للاضطرابات التي عرفتها دولته،[5] ثم اتجه شريف مكة إلى المستنصر الحفصي ،وقرر الاعتراف به كخليفة للمسلمين ،وفي أوائل(659هـ-1260م)، تلقى المستنصر بكل اعتزاز وسرور رسالة من مصر، تلقبه بالأمير.[6]

---

[1]- روباربرنشفيك، مرجع سابق ،ص77.

[2]- الجيلالي، ج2، مرجع سابق،ص61.

[3]- شاكر مصطفى وممدوح حسين،**الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري**،دار عمان الكويت،668هـ-792هـ، 1270م-1390م،ص182.

[4]- نفسه ،ص182.

[5]- روباربرنشفيك،ج2، مرجع سابق،ص77.

[6]- نفسه،ص77

وفي هذه الفترة بدأت مصر تشعر بخطر الإمارة الحفصية التي كانت تهدف إلى مد نفوذها إلى سوريا والحجاز ،وهذه السياسة اعتمدتها مصر منذ العهد الطولوني، فحرصت مصر على مد سلطانها إلى الحجاز والسيطرة على تجارة البحر الأحمر.[1]

إلاّ أنّ العلاقة الحسنة والودية استمرت بين الطرفين في عهد أبي العباس ،وذلك من خلال الشعارات والهدايا التي كانت بينهم،[2] فقد كانت هناك بعثة تونسية إلى مصر(787هـ-1385م) كما وجدت رسالة هامة بين السلطان برقوق وأبي العباس يرجع عهدها إلى سنة(792هـ-1390م)،[3]ضف إلى أنّ العلاقة الودية مع مصر استمرت كذلك في عهد السلطان الحفصي عثمان، حيث زادت مناسبة الحج في توثيقها.[4]

ومما سبق يمكن القول أنّه كانت هناك علاقات سياسية وعسكرية بين الإمارة الحفصية و دول المغرب والأندلس، التي تميزت تارة بالتصادم والعداء وهذا راجع إلى رغبة كل طرف منهم في توسيع ملكه وحدود دولته والسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ،وتارة أخري بالتسامح والتعاون والاشتراك بين أساطيلها في المجال الحربي من أجل الوقوف في وجه الخطر النصراني ،وقد حدث هذا بطبيعة الحال في فترات التوافق السياسي بينها ،وازدياد شدة الخطر النصراني المشترك .

---

[1]- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي**،ج4، ط1، مكتبة النهضة المصرية القاهرة،مصر1968، ص319.

[2]- روباربرنشفيك،ج1، مرجع سابق، ص236.

[3]- المطوي،مرجع سابق، ص544.

[4]- روباربرنشفيك،ج1، مرجع سابق، ص307.

المبحث الثالث: الدور الاقتصادي للإمارة الحفصية في حوض البحر الأبيض المتوسط

1- الزراعة

2- الصناعة

3- الدور التجاري للإمارة الحفصية

لعبت الإمارة الحفصية في حوض البحر المتوسط دورًا اقتصادياً كبيرًا، وكان لها روابط تجارية سواء مع الدول المجاورة، أو الدول المقابلة لها في حوض البحر المتوسط ،والشيء الذي ساعدها على إقامة هذه العلاقات هو وقوعها في الساحل ،وتوفرها على العديد من الإمكانات الزراعية والصناعية والتجارية.[1]

الزراعة:

شهدت الزراعة في عهد الحفصيين تطوراً كبيراً ،وهذا التطور راجع إلى العوامل الطبيعية التي ساهمت بشكل كبير في تنوع المحاصيل الزراعية ورغم أنّ الشبكة المائية لم تكن متوفرة بالقدر الكافي، إلّا أنّ الحفصيين استعملوا وسائل أخرى أعانتهم في سقي منتوجاتهم الزراعية.

وذكر الوزان أنّ تونس لا يوجد بها طاحونات الماء لا داخل تونس ولا خارجها، بل تدار كلها بالدواب ،ولا يوجد بتونس لا بئر ولا نهر ولا عين ،بل تستعمل الصهاريج [2]لجمع ماء المطر وكان يوجد بضواحي المدينة بئر صالح للشرب فيه شيء من الملوحة يأتي إليه[3]السقاؤون بدوابهم فيملؤون القرب بالماء، ويبيعونه في المدينة ويشرب الناس منه لأنّه أنقى من الصهريج.[4]

كما تنوعت المحاصيل الزراعية في الإمارة الحفصية، وهذا التنوع راجع إلى نوعية التربة والأمطار، وكانت هناك فترات جفاف ،والتي أدت في غالب الأحيان إلى المجاعات، كما أنّ سكان هذه المناطق استعملوا الصهاريج المزودة بماء المطر، والسدود والسطوح ،وكذلك مياه الفيضانات في زراعة الحبوب حول القيروان ،وكانت الآبار هي التي تلبي حاجيات الري ويتم استخراجها من البئر بواسطة آلة رافعة أو دلو لري الأرض،[5] ومياه الأودية، ومن أهم هذه الأودية نذكر:

---

[1]- أحمد السعيد سليمان، **تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة**، ج1، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1972م ص56.

[2]- **الصهريج** :هو حوض يجتمع فيه الماء ،ويصنع الصهريج من الحجر وأصله فارسي، أُنظر أبو الفضل جمال الدين ابن منظور **لسان العرب**، د.ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص، 312 .

[3]- الحسن الوزان، ج1، مصدر سابق، ص76.

[4]- نفسه، ص76.

[5]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص217-218.

واد البربر[1]، واد مجردة[2]،واد قابس[3]،واد زرواده[4].

وما يلاحظ كذلك عن سكان المنطقة أنهم لا يستطيعون زرع الأراضي المجاورة لتونس خوفاً من تعسف الأعراب، فكان القمح يجلب من بعيد من أوربس ،وباجة وخاصة عنابة وكان لسكان بعض المدن ممتلكات صغيرة يزرعون فيها قليلاً من الشعير والقمح.[5]

وكانت أهم موارد الدولة تتمثل في أملاك السلطان الخاصة ،والضرائب المفروضة على الأراضي الفلاحية-الخراج- ونقل البضائع وبيعها ،وما تؤديه القبائل من ضرائب فرضت عليها،[6]ففي عهد المستنصر أصبحت المزارع الحفصية فائحة بالبساتين، حيث غرس فيها السلطان مختلف الأشجار المثمرة،كما قاموا بتشييد الحصون وتطويق العاصمة بالبساتين والريحان.[7]

فالزراعة الحفصية لم يكن فيها تسميد ، فالحقل الذي يزرع عدة مرات يترك بوراً، كما أنّ الفلاح لم يستعمل المحرث المزود بعجلات وإنّما كان يستعمل الحمار والثور والجمل ،وكان المحرث من خشب ومجهز بسكة معدنية، أمّا الحصاد فكان بواسطة المنجل والدرس بواسطة حواف الدواب في كل من منطقتي قسنطينة والجنوب الشرقي من إفريقية، وسوسة وصفاقس.[8]

---

[1]- **واد بربر**: ينبع هذا النهر من الجبال المتاخمة لإقليم مدينة أوربس ،ولا يزال يسيل بين تلال وجبال ،ومجراه كثير الإنعراجات، حتى أنَ المسافرين من تونس إلى عنابة يضطرون إلى اجتيازه، أُنظر حسن الوزان، مصدر سابق ،ج2، ص253.

[2]- **واد مجردة**: نهر كبير جداً، ينبع من الجبال المتاخمة لإقليم الري، قرب مدينة تبسة،متجهاً نحو الشمال إلى أن يصب في البحر المتوسط في المكان المسمى غار الملح، على بعد أربعين ميلا من تونس، ويفيض كثيراً أيام الشتاء، حتى يضطر التجار المسافرين إلى الإقامة يومين أو ثلاثة أيام ، المصدر نفسه ،ص253.

[3]- **واد قابس**: وهو نابع من الصحراء إلى جهة الجنوب، ينحدر عبر سهول رملية، إلى أن يقتحم البحر المتوسط،قرب مدينة قابس، المصدر نفسه ،ص253.

[4]- **واد زرواده**: وهو في قبلة القيروان بينها وبينه أميال يسيرة واصلة من موضع يعرف بفزان، بضم الفاء، وتخفيف الراء، وهو يمر بمزارع تسقى منه وينتفع به فيها ،وهو موضع في جوف القيروان، أُنظر التجاني ،مصدر سابق،ص118.

[5]- حسن الوزان، مصدر سابق، ص75.

[6]- الهادي الشريف، مرجع سابق، ص56.

[7]- الطويلي، مرجع سابق، ص21.

[8]-روباربرنشفيك، مرجع سابق، ص ص213-214.

والشيء الذي ساعد كذلك في تطور الزراعة الحفصية ،هو توفرها على العديد من السهول التي اشتهرت بمزارعها المختلفة والمتنوعة ،ومن أهمها نجد،سهل أوربس،[1] ورادس[2]، وسهل القصبة،[3] وسهل بنزرت، [4] وغيرهم.

ونظراً لتوفر الإمارة الحفصيّة على هذه الأودية الكثيرة والسهول الخصبة، نتج عنه تنوع في الإنتاج النباتي، حيث نجد من أهم المزروعات التي كانت سائدة عند الحفصيين زراعة الحبوب القمح والشعير،[5] حيث أنّ الشعير هو أكثر الحبوب استهلاكاً، وهو ينتشر في أغلب المناطق، أمّا أمّا القمح الصلب –دون سواه– فكان له متطلبات أكثر وكان مزدهر على وجه الخصوص في منطقتي قسنطينة وعنابة ،وفي سهل باجة الماطر الوافر الإنتاج،[6]كما أنّ الشعير توفر في أغلب المدن الساحلية مثل جيجل وبجاية والمنستير[7] ،وباجة هذه الأخيرة وفيرة الإنتاج خاصة الحبوب، حيث يباع سنوياً عشرين ألف كيل، ومن أهم الأقوال المأثورة على تونس:"أنّه لو كان باجتان لفاق عدد حبات القمح عدد حبات الرمل"[8]،وهذه الحبوب تخزن في مطمورات جماعية مثل القلاع ،وبعض القصور، وتتواجد هذه المطمورات تحت الأرض وكانت المرأة تسحق الحبوب في أغلب الأحيان برحى يدويّة.[9]

---

[1]– **سهل أوربس**: وهو سهل جميل جداً وزهرة أقاليم إفريقيا كلها، أرضه خصبة جداً منبسطة تماماً على سهوله، كبيرة في السقي، وهو يزود بلاد تونس كلها بالقمح والشعير، وهو على بعد مائة وتسعين ميلا من الجنوب التونسي، أُنظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق ص65.

[2]– **سهل رادس**: وهو ستة أميال على تونس، وبه كروم كثيرة ومزارع متسعة، أُنظر التجاني،مصدر سابق ،ص05.

[3]– **سهل القصبة**: وهو سهل فسيح جداً يمتد شرقاً على مسافة اثني عشر ميلا حول المدينة، ويبعد عن تونس بنحو أربعة وعشرين ميلا، وهو سهل تتنوع فيه المزروعات لخصوبته، أُنظر حسن الوزان، مصدر سابق ،ص67.

[4]– **سهل بنزرت**: على ساحل البحر ،وهو على بعد خمسة وثلاثين ميلا من تونس ،وهو يتسع جنوباً إلى أن يكون شبه بحيرة بحيرة كبيرة تحيط به مداشر عديدة لقيادي السمك ولفلاحين ،وهو سهل منتج لأقصى حد، ويسمى سهل ماطر ، المصدر، نفسه ص68.

[5]– روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص458.

[6]– نفسه،458.

[7]– **المستنير**: مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة بنحو اثنتي عشر ميلا عن تونس، تحيط بها أسوار متينة أُنظر حسن الوزان، ج2، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ص84.

[8]– نفسه، ص66.

[9]– روباربرنشفيك، مرجع سابق، ص215.

وبالإضافة إلى السهول السابقة الذكر، نجد كذلك سهل جربة وهو مختلف المزارع لقول التجاني:<< أنّها أرض كريمة المزارع عذبة المشارع.>>[1] وزراعة الزيتون، الذي انتشر في الإمارة الإمارة الحفصية ،وكان ينتج منه كمية عظيمة من الزيوت لاتزود تونس فحسب حيث يصدر إلى مصر كما استعمل خشب الزيتون في أغراض أخرى ،ولا يزال منتشر إلى حدّ الآن.[2]

وتأتي بعد زراعة الحبوب والزيتون زراعة النخيل ،وهي تتواجد بالقسم الجنوبي من البلاد في المناطق الصحراوية وهذا للمكانة الرفيعة التي تحتلها التمور في تغذية البدو الرحل ،ومن أهم الواحات نجد تلك المتواجدة في جنوب منطقة قسنطينة وبسكرة وتقرت وورقلة[3] ،وقابس التي يقول عنها التجاني:<<وقابس جنّة الدنيا، التي بها غابة من الجواسق والنخل المتناسق ما يستوقف الظرف، ويستوفي الحسن والظرف>> [4] ونافوزة محفوفة بنخل وبها التمر المفضل على على جميع البلاد ،وزارات وهي قرية ذات نخل كبير وماء غزير ينبع من عين حمئة.[5]

وزراعة التين المنتشر في مناطق عديدة وخاصة السهول الساحلية والمرتفعات مثل بجاية القبائل، جيجل، منطقة تونس ،وساحل قابس ،جربة ،طرابلس[6] وكذلك توجد منتوجات أخرى مثل البرتقال والليمون[7]والتفاح الذي يذكر عنه التجاني:<< وتفاحها لا يوجد في جميع بقاع الأرض، ليس له نظير لما يوجد بها من شجرة من صفاء وجفافاً وطيب مذاق وعطارة استنشاق ورائحة توجد في المسافة المديدة والأميال العديدة.>>[8]

وأشجار الجوز التي تحيط بتبسة وبجاية ،وكان المسلمون يستعملون هذه الأشجار لا من أجل ثمارها فحسب بل حتى جذورها وجذوعها وهي التي تعرف باسم السواك[9]،والسفرجل الذي يوجد في العديد من الأماكن وكذلك لطيب طعمه وضخامته وكثرة مائه، بديع الشكل

---

[1]- التجاني، مصدر سابق،ص122.

[2]- روباربرنشفيك، ج2،مرجع سابق، ص458.

[3]- نفسه، ص ص228-229.

[4]- التجاني، مصدر سابق، ص86.

[5]- نفسه، ص ص142.119.

[6]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص231.

[7]- حسن الوزان، ج1، مصدر سابق، ص77.

[8]- التجاني، مصدر سابق، ص122.

[9]-روباربرنشفيك،ج2، مرجع سابق ص230.

شهيّ الأكل ،ولا يشبهه إلا السفرجل الموجود بتاجورة من قرى طرابلس،[1] ونجد القلصادي الذي الذي زار تونس في هذه الفترة يقول :<<أنّ الله سقى أرجاءها المشرقة وأغصانها المورقة، سبابيب الرضوان ومنحها الأمن والأمان .>>[2]،بالإضافة إلى بعض النباتات العطرية وبعض الأعشاب وزراعة بعض القوارض وغيرها من أنواع القرعيات والخضر.

أمّا فيما يخص الثروة الحيوانية اشتهرت تونس بتربية الماشية مثل الإبل والغنم والبقر والخيول، وكذلك الجمال التي كانت تستعمل للركوب وحمل الأثقال، وكانوا يستعملون لبنها وفروها ولحمها وجلودها، وتربية النحل والدجاج [3]،والصيد البحري في كل من صفاقس وقابس التي يوجد بها العديد من الأسماك المختلفة ،وهي تفوت الإحصاء نظراً لكثرتها، والبحر على ثلاثة أميال منها حيث يقول الخليل بن أحمد:

يَا جنّة فاقَت الجنان فما

لعلقهَا قيمة ولا ثمنُ

من سفن كالنعام مُقبلة

ومن نعام كأنّها سُفن[4]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإمارة الحفصية استفادت من مهاجري الأندلس كثيراً خاصة في الميدان الزراعي.[5]

---

[1]- التجاني، مصدر سابق ص154.

[2]- أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، **رحلة القلصادي**، تر، محمد ابو الأجفان الشركة التونسية للتوزيع ،تونس 139هـ-139هـ-1978م،ص160 .

[3]- روباربرنشفيك، مرجع سابق، ص ص 458.457.

[4]- التجاني، مصدر سابق،ص ص68.67 .

[5]- روباربرنشفيك،ج2،مرجع سابق ،ص458.

2-الصناعة:

اعتمدت الإمارة الحفصية على الصناعة لأنها المادة الأساسية لتلبية حاجياتها ومواجهة أعدائها، خاصة الصناعات الأولية كطحن الحبوب في آلة تسمى" المعصرة" ،وهذه الأخيرة تعمل على استخراج الزيت بواسطة سحق حبات الزيتون في طاحونة تحركها الحيوانات.

أمّا الطريقة الأخرى وهي غسل حبات الزيتون بالماء الساخن فيطفوا الزيت على سطح الماء وتسمى هذه الطريقة ضرب الماء[1] ،وكانت هذه الطريقة أكثر انتشاراً واستعمالاً في إفريقيا لسهولتها، وأيضاً من خشب الزيتون يستخرج الفحم الذي يستعمل في المدينة ويتخذ بعضه حطباً للتسخين[2] ،وازدهرت كذلك صناعة المطاحن حيث بلغت مائة وعشرين طاحونة ،وكان يطحن بها أربعة آلاف قفيز قمحاً كل يوم وألف تبل وألف تطحن وألف تغربل وألف تصنع[3] ،واشتهرت مدينة ميلة[4] بنسيج الصوف التي تصنع منه أغطية الأسرة.[5]

أمّا النساء في الإمارة الحفصية، فقد كانوا ينسجون الأقمشة والزرابي على نور عمودي وبسيط من النوع القديم ،ويتركب أساسا من مسداتين أفقيتين متطابقتين ممدودة عليها سدات وتشدها دعامتان عموديتان ،وتمر الخيوط بواسطة اليد،[6]أما النور الأفقي فهو مخصص للرجال ويتركب من آلة يحركها النساج بواسطة دواسة ومن مكوك يستعمل لتمرير الخيوط[7]،وقد وصف ليون الإفريقي القماش المصنوع في إفريقية أنّ:<< فيه كمية عظيمة من القماش البالغ حد الإتقان، يباع في إفريقيا بأثمان باهضة لأنّه رفيع ومتين ،والنساء يتقنّ الغزل غاية الإتقان، فيجلسن في مكان مرتفع ويرخين المغزل كثيراً إلى الأسفل، يقعدن مثلاً في نافذة ويتركن المغزل ينزل إلى

---

[1]- روبار برونشفيك، مرجع سابق،ص222.

[2]- حسن الوزان، ج2،مصدر سابق،ص77.

[3]- ابن الشماع، مصدر سابق،ص91.

[4]- **ميلة**: مدينة عتيقة بناها الرومان على بعد اثني عشر ميلا من قسنطينة، تحيط بها أسوار قديمة وتظم زهاء ثلاث آلاف كانون، يوجد بها عدد كبير من الصُناع، أُنظر حسن الوزان،ج2،وصف إفريقيا، مصدر سابق ص60.

[5]- نفسه، ص60.

[6]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص 223.

[7]- نفسه، ص223.

ساحة الدار، فيتكون الخيط بواسطة نقل المغزل ويأتي جيد الانبساط والفتل منتظم الغلظ.>>[1]

وأيضاً صناعة الجلود التقليدية في البلاد التونسية في إفريقية ،وهي صناعة بدائية طويلة المدى وباهضة التكاليف ،ويتم معالجتها بواسطة الجرار باستخدام الكاس، ثم الماء المالح ،وأخيراً بواسطة قشرة صالحة للدبغ[2]،واشتهرت مدينة القُل[3] بصناعة الجلود ويبدلون البضائع التي يحملها أهل جنوة إلى منائهم[4].

[1]- حسن الوزان، ج2، مصدر سابق، ص ص74-75.

[2]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق،ص222.

[3]- **القل**: مدينة كبيرة بناها الرومان على سائل البحر المتوسط ،وهي مدينة متحضرة مليئة بالصناع، وأهلها ضرفاء كرماء تجارتهم رابحة، أُنظر، حسن الوزان،ج2، وصف إفريقيا، مصدر نفسه،ص54.

[4]-نفسه، ص54.

3-الدور التجاري للإمارة الحفصية:

شهدت التجارة في العهد الحفصي تطوراً كبيراً منذ أن استقل أبو زكرياء الحفصي(597هـ-647هـ)-(1200-1249م) بإفريقية، حيث قاموا بتخصيص أسواق للمهن والحرف والصناعات حول جامع الزيتونة ،وفي أطراف المدينة وأسواق الصباغين[1] والعطارين[2] والشماعين والجلادين وأسواق الذهب والفضة والنقش على النحاس وبعض المعادن[3]، وسوق العبيد المجلوبين من إفريقية السوداء، وكذلك القصابين الذين يذبحون الخرفان، إلى غير ذلك من الحرف التي تمارس في هذا السوق[4].

وكانت الأسواق التجارية متعددة ومتنوعة مثلاً نجد سوق يقع في جبل قسنطينة يُقام كل أسبوع في أيام مختلفة يقصده عدد كبير من تُجار قسنطينة والقالة[5]، وفي جربة[6] يُقام سوق مرة في الأسبوع ويُشتهر بتجارة قماش الصوف ،ويأتيه مجموعة من الأعراب وسكان الجزيرة حاملين معهم كمية من الصوف لبيعها.[7]

وقد شجع الحفصيون نشاط القرصنة والتجارة البحرية، التي كان يقوم بها في الموانئ الحفصيّة تُجار من المسيحيين، والتي عادت إلى الحفصيين بأرباح كثيرة مكنتهم من أن يكونوا أقل تبعية لما تدفعه الرعية من ضرائب ،وأن تصبح له على تلك الرعية غلبة مُطلقة وتعود هذه الموارد الخارجية على السلطان الحفصي بنجاح كبير[8].

---

[1]- الطويلي، مرجع سابق، ص16.

[2]- ابن الشماع، مصدر سابق، ص57.

[3]- الطويلي، مرجع سابق،ص18.

[4]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص279.

[5]- حسن الوزان، ج2،مرجع سابق ، ص103.

[6]- **جربة**: هي جزيرة مجاورة لليابسة طولها من المغرب إلى المشرق60 ميلا ،وهي أرض كريمة المزارع عذبة المشارع ،وأكثر شجرها النخيل والزيتون والتين، وبها أصناف الفواكه ،وتُفاحها لا يوجد في جميع بقاع الأرض، أُنظر التجاني، مصدر سابق ص ص123-124.

[7]- حسن الوزان،ج2، مصدر سابق، ص94.

[8]- الهادي الشريف، مرجع سابق، ص56.

وكانت التجارة على نوعين داخلية وخارجية، فالتجارة الداخلية التي تتم بين المدن المجاورة لإفريقية، والتي يرجع سببها الأصلي إلى تنوع الإنتاج الزراعي بحسب المناخ والطقس، مثلاً نجد تمور الجنوب تصدر إلى الوسط والشمال، مقابل الحبوب التي يوفرها التل والسباسب والواحات.

فكان هذا التبادل بين تقرت وقسنطينة، وبين الجريد والقيروان ،وتستورد عن طريق البحر الجوز والتين من جيجل والزبيب من جربة ،وأهل القيروان يشترون الخروب من جيجل وزيت الزيتون من السواحل والسفرجل والليمون من تونس والقمح من عنابة[1] والأوربس[2] ،وباجة[3] أمّا التجارة الخارجية، فقد ساعد موقع تونس الذي يعتبر همزة وصل بين المشرق والمغرب على إقامة علاقات مع الدول المجاورة ، وهذا لضمان وزيادة اقتصاد الدولة[4]،ويتم هذا التبادل التجاري عبر عبر طريقين(بري وَبحري).

فالطريق البري يربط بين منطقة طرابلس في المغرب الأدنى بدول الكانم والبورنو في الصحراء وتعتبر واحات فزان موقع متوسط يربط بين ساحل وبحيرة تشاد مما جعلها محطات طبيعية لتزويد القوافل بما تحتاجه[5].

أمّا الطريق البحري، الذي ربط تونس بالموانئ الأوروبية خاصة الاتفاقيات التجارية، بين أبي زكرياء "وجنوة وبيزة" ،والتي تنص على ضمان الأمن المتبادل للملاحة البحرية وتحدد مبادئ تعاطي التجارة، واستقرار النصارى في دار الإسلام بحيث لهم كل الحق في ممارسة شعائرهم الدينية ومنح الامتيازات اللازمة لاستقرارهم في بعض الموانئ، بالإضافة إلى بعض الاتفاقيات الأخرى[6].

---

[1]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق،ص265.

[2]- **الأوربس**: مدينة عتيقة بناها الرومان، تقع في سهل جميل جداً، وهو زهرة أقاليم افريقيا كلها،وتزود هذه البلاد تونس بالقمح والشعير،تقع جنوب تونس، أُنظر إلى ،حسن الوزان،وصف إفريقيا،ج2،،مصدر سابق ص65.

[3]- **باجة**:مدينة عتيقة بناها الرومان، يطلق عليها فينيشيا، ثم تحولت الفاء إلى باء والكاف جيم، حينها أصبح الإسم باجة أُنظر حسن الوزان، ج2،مصدر نفسه،ص66.

[4]- **الاقتصاد**: هو علم تدبير الثروات والأموال الفردية والإجتماعية إدخاراً وتنمية، وتوزيعاً على نحو من الاستقامة والتوازن أُنظر محمد عمارة، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية**، ط1، دار الشرق، بيروت، 1493ص59.

[5]- مفتاح يونس الرباصي ،"**ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودول الكانم والبورنو في العصور الوسطى**" ،مجلة الساتر، جامعة7 أكتوبر، كلية الآداب، ليبيا، ص92-93.

[6]- روباربرنشفيك، ج2،مرجع سابق، ص ص57-59.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أنّ الإمارة الحفصية قد وقعت مع بيزة أقدم معاهدة تجارية، كما أشارت الوقائع كذلك إلى الازدهار التجاري الكبير ،والتنافس بين أهل بيزة والجنويين على سوق بجاية[1].

وحرصت الدول الأوروبية كل الحرص على استمرار العلاقات التجارية مع الإمارة الحفصية وتوقيع العديد من الاتفاقيات خاصة في عهد السلطان أبو زكرياء[2]الذي منح أهل بيزة مكانة مقارنة بالجنوبيين، إذ أنّه رخص لهم حرية الإقامة خارج تونس في بجاية والمهدية وطرابلس ،وفي كل مدينة يمتلكون فندقًا، كما يحق لهم بناء الكنائس والمقابر[3].

وفي سنة(753هـ-1353م) انتهز تجار" بيزة "ضعف الأمير الحفصي إبراهيم الثاني ،وقد ذكر الزركشي :<<بأنّ أعظم جبايته من سُفن البحر وكانت له مواصلة بالمهدية>>. [4] فأُرغموا على التخلي عن مبدأ المسؤولية الجماعية، فأصبح كل تاجر مسؤولاً على ما في ذمته فقط دون ما في ذمة زملائه أو مواطنيه،كما كان الحال من قبل ،وفي هذه الظروف المواتية نَما عدد التُجار في كل من بونة وبجاية وقابس وصفاقس، هذا فيما يخص العلاقة التجارية بين بيزة والحفصيين[5].

أمّا"فرنسا" فقد شهدت العلاقات التجارية بينها وبين الحفصيين في حوض البحر ازدهاراً كبيراً خاصة بعد توقيع اتفاقية الصلح التي سبق الإشارة إليها، فبعد فشل الحملة الصليبية الثامنة أُجبر المستنصر الحفصي على دفع غرامة مالية لفرنسا ،ودفع الضريبة المفروضة على فريدريك الثاني ملك صقلية السابق إلى شارل دانجو الملك الجديد[6].

وثبت أنَّ ملك فرنسا لويس الحادي عشر كتب إلى ملك بجاية سنة(887هـ-1482م) راغباً في ربط معاهدة تجارية جديدة فأجابه الملك الحفصي على ذلك وضمن له أمن الجالية والأقلية الفرنسية المقيمة يومئذ ببجاية [7] ،وهذا دليل على استمرار العلاقات التجارية بين الطرفين في حوض البحر.

---

[1]- روبارىرنشفيك،ج1، مرجع سابق،ص54.
[2]- مبيطي المسعودي، مرجع سابق،ص129.
[3]- روبارىرنشفيك، ج1، مرجع سابق،ص ص56-57.
[4]- الزركشي، مصدر سابق،ص92.
[5]- العروي، مرجع سابق،ص385.
[6]- روبارىرنشفيك، ج1، مرجع سابق،ص131.
[7]- الجيلالي،ج2،مرجع سابق،ص74.

وكذا عرفت"البندقية" هي الأخرى علاقات تجارية مع الإمارة الحفصية ،وهذا بسبب عوائد التجارة من المغرب والأندلس ،وفي عهد المستنصر وقعت "البندقية" مع الحفصيين اتفاقية لمدة 40 سنة بواسطة سفير بندقية فيليب جوليان ،ومن بين أهم ما جاء فيها، الإعفاء من أي أداء على الذهب والفضة والحجار الكريمة التي يبيعها أهالي البندقية ،والسماح لها بتصدير الرصاص من إفريقية بدون رسوم ،وحق إصلاح الكنائس الموجودة في فنادقهم وتوسيعها[1].

كما تزعمت البندقية تصدير ملح إفريقية إلى أوربا وبلاد المشرق، فكانت تنقل كميات كبيرة من الملح إلى السودان، وكانت البندقية تريد احتكار هذه التجارة ويتضح ذلك من خلال رد سفير البندقية على السلطان الحفصي قائلاً:أنّ الجمهورية لا ترغب إلا في تجارة مادتين هما الملح والحبوب[2].

وارتبطت" صقلية "أيضاً في عهد أبي زكرياء الحفصي بعلاقات تجارية، فقد عمل أبو زكرياء على أن تكون علاقته مع الإمبراطور فريدريك الثاني علاقات طيبة، حيث كانت إفريقية تدفع لصقلية ضريبة سنوية تُقدر بثلاث آلاف قطعة ذهبية.

وعلى الرغم من اختلاف وعدم معرفة أسباب هذه الضريبة، إلاّ أنّه يبدو أنّ أساس هذه الضريبة هو حماية الموانئ الحفصية التجارية من قراصنة جنوة،[3] إذ أنّ اختطاف إحدى السفن الجنوبية التي كانت متوجهة من إسبانيا إلى تونس قد أثار ردَ فعل سريع من قبل أهل جنوة إذ أنهم توجهوا إلى ميناء بجاية، فاحتجزوا سفينة محملة بالبضائع وأشعلوا النار في جميع المراكب التابعة لأعدائهم ،وامتدت الحرب بين الدولتين المذكورين إلى رعاياهم المقيمين في شمال إفريقية[4]لأنّ تجاراً تجاراً من بيزة استولوا على سفينة تجارية كانت تقوم برحلاتها بين تونس وموانئ الأندلس، فالصراع بين بيزة وجنوة كان من أجل استغلال الموانئ الحفصية ،وهذا ما دفع بأبي زكرياء بعدم تجديد الاتفاقية بينه وبين جنوة[5].

---

[1]- روباربرنشفيك، ج1،مرجع سابق، ص73.

[2]- مبيطي المسعودي، مرجع سابق، ص132.

[3]- المطوي، مرجع سابق، ص157.

[4]- روباربرنشفيك، ج1، مرجع سابق،ص ص64-65.

[5]- المطوي، مرجع سابق، ص158.

ومما أسهم في ازدهار العلاقات التجارية في حوض البحر المتوسط هو تصالح كل من جنوة والبندقية ،وهذا ما أدى إلى توسيع نطاق أهالي فلورنسا في عملياتهم التجارية في إفريقية، أمّا صقلية فقد كانت منذ وفاة فريدريك الثاني مصرحاً لمعركة طويلة بين أنصار البابا وأنصار ذرية الإمبراطور، فلم تكن الظروف مساعدة في إقامة علاقات تجارية منظمة مع إفريقية[1].

دون أن ننسى الموقع الإستراتيجي لإفريقية وانفتاحها على المشرق والمغرب ،وهذا ما جعل المدن الايطالية تجدد الاتفاقيات بانتظام بعد انتهاء أمدها ،وكان التجار الأجانب يعيشون في فنادق مخصصة لهم تحت نظر قناصلهم، يتعاطون بكل حرية وفي اطمئنان البيع والشراء ،ويؤدون لديوان البحر رسوماً مقررة لا تعدو أبداً10 بالمائة من قيمة كل مادة[2].

صادرات الإمارة الحفصية:

نظراً للإمكانيات الاقتصادية العديدة التي توفرت عليها الإمارة الحفصيّة وموقعها الاستراتيجي المتميز الذي ساعدها على تعدد منتجاتها، هذا ما جعلها تقوم بالتصدير واستيراد بعض المنتوجات سواء مع دول المغرب أو دول حوض البحر المتوسط.

فقد كانت كل من بيزة وجنوة والبندقية ومرسيليا تستورد من بجاية وتونس وجربة وطرابلس الجلد والصوف، ولم تكن هذه الجمهوريات الإيطالية تحتفظ بمجموعة الجلود المستوردة من هذه المناطق، بل كانت تقوم بإعادة توزيعها على بعض الأماكن مثل فلندار يا وغيرها[3].

وكذلك قامت الدول الأوربية باستيراد اللوز والزبيب من بجاية وعنابة[4]،بالإضافة إلى أنّ الإمارة الحفصية كانت تُصدر إلى هذه الدول الحبوب والمرجان والسمك ،والمواد الخام والتمور والشمع والسكر والرصاص والتين[5].وكانت نسبة الواردات التي يقوم بها النصارى10,5بالمائة لأهالي فلورنسيا خلال القرن 14[6].

---

[1]- روباربرنشفيك، ج1، مرجع سابق، ص74-75.

[2]- العروي، مرجع سابق، ص385.

[3]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص274.

[4]- نفسه، ص274.

[5]- الجيلالي، ج2، مرجع سابق،ص74.

[6]- نفسه، ص252.

كما قامت الإمارة الحفصية بتصدير بعض المواد المصنعة مثل الزرابي[1]، حيث أنّ جهاز الأميرة إيزابيلا اشتمل عل زربيتين من مدينة تونس ،وما يلاحظ أنّ سلاطين بنى حفص تنازلوا على بعض النقاط لفائدة الدول النصرانية ،وذلك للمحافظة على مصالح منتوجات بلادهم وتجارتها، وهذه السياسة رجعت بالفائدة على خزينة الإمارة الحفصية، حيث شجع هذا التجار الأجانب على تنمية علاقتهم مع إفريقية[2].

الواردات:

كانت الإمارة الحفصية تستورد من دول حوض البحر المتوسط، التوابل ومواد الصباغة والعطور والمعادن وبعض المواد المصنّعة[3]، بالإضافة إلى الزيوت والخمور، وما تجدر الإشارة إليه أنّ البحرية الأوربية كانت تحتكر نقل الحُجاج المغاربة ذهاباً وإياباً، وهذا لعدم وفاء التجار النصارى بوعودهم،لهذا لجأ المسلمون إلى الجهاد البحري أو القرصنّة، فكانوا يعترضون المراكب التجارية الإيطالية والإسبانية خاصة ويستولون على ما فيها ،وكانت العملية مشروعة في نظر الجميع ،وكان لميناء بجاية تفوق في هذا الميدان[4].

ومما سبق نستنتج أنّ الموقع الإستراتيجي المميز للإمارة الحفصية كان له دور كبير في تعدد منتوجاتها، فكثرت محاصيلها الزراعية وتعددت صناعتها ،وهذا ما ساعدها على إقامة علاقات تجارية سواءً مع الدول المجاورة لها أو الدول النصرانية، حيث كانت تصدر بفضل أسطولها العديد من المنتوجات في حين تستورد من هذه الدول ما تفتقر إليه من حاجياتها من الإنتاج ،وهذا ما جعل العلاقات التجارية في أغلبها سلمية ،ويظهر هذا من خلال معاهدات الصلح والتجارة والملاحة التي كانت تتجدد باستمرار بعد نهايتها .

---

[1]- العروي، مرجع سابق، ص386.

[2]- روباربرنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص ص276-253.

[3]- نفسه، ص279.

[4]- العروي، مرجع سابق، ص386.

المبحث الرابع :النظم البحرية للإمارة الحفصي

1-أهم قادة الأسطول الحفصي

2-مكونات الأسطول

3-أهم الموانئ

1-قيادة الأساطيل:

كان السلطان الحفصي هو القائد الأعلى للجيش "البري والبحري" وكان له نائب وهو "وزير الجند ،وهذا الأخير مسؤول عن الإدارة العليا ويعوض السلطان أثناء العمليات الحربية وتمويل هذه الجيوش يتم من طرف "صاحب الطعام، "الذي كان تابعا لوزير الجند.[1]

فقيادة الأساطيل كانت على درجة كبيرة من الأهمية عند الحفصيين في هذه الفترة والتي كانت تسند إلى السلاطين الحفصيين في حد ذاتهم، أو إلى الأمراء من الأسرة الحاكمة [2] والتي قال عنها ابن خلدون :<<أنها من وظائف الدولة وخططها في ملك المغرب وإفريقية، ومرؤوسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال ويسمى صاحبها بسم الملند بتفخيم اللام منقولة من لغة الإفرنجة ،واختصت هذه الرتبة بملك إفريقية والمغرب لأنها جميعها على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب .>>[3]

وكانت أولى قيادات الأسطول الحفصي، ترجع إلى الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص الذي استطاع إثبات وجوده ،ومقدرته العسكرية على محاربة الأعداء خاصة بعد أن استعاد تونس والمهدية من ابن غانية الذي فر مع أهله إلي طرابلس ،وتمكن أبو حفص من الإستلاء على الأموال والسلاح.[4]

كما قاد الأمير "أبو زكرياء يحي بن أبي يحي الشهيد"[5]الأسطول الذي كان متوجه إلى الأندلس، لإنقاذ أهل بلنسية من العدو النصراني ،وكان هذا الأسطول مزود بالعديد من الأموال والأسلحة والمؤن، لإغاثة أهل الأندلس وكان يتركب من اثنتي عشرة سفينة حربية، لكن هذه

---

[1]- روبار برنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص 88.

[2]- حسن الوزان، ج2، مصدر سابق، ص 79.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، تح، ا.م. كاترمير، مج، الثاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م،ص32 .

[4]- المطوي، مرجع سابق ،ص 69.

[5]- روبار برنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص 62.

المساعدة لم يكتب لها النجاح وفشلت في نجدة المسلمين ،واضطر هذا القائد في الأخير العودة إلى إفريقية، [1]وقاد أبو زكرياء الحفصي الأسطول الذي كان متوجها إلى قسنطينة وبجاية سنة (628هـ-1230م) وتمكن من الاستلاء على هاتين المدينتين ،وألقى القبض على رؤساء العرب وفي هذه الأثناء ظهر ابن غانية من جديد إلاّ أنّ أبو زكرياء وجه إليه أسطوله وجيوشه وأبعده خارج حدود إفريقية.[2]

ثم قام المستنصر الحفصي سنة (675هـ،1277م) بقيادة الأسطول ضد القوى النصرانية-الحملة الصليبية-، التي سبق الإشارة إليها، إذ أنّ المستنصر لم يقف مكتوف الأيدي، وإنما وجه هو الأخر جيشه وأسطوله للتصدي لهم ،وجرت حروب بينهم مدة أربعة أشهر ،وظل الحفصيون يدافعون عن بلدهم، رغم اشتداد الحر ولكنّهم تمكنوا من تحقيق النصر حيث توفي لويس التاسع ورحل الباقون وهذا أهم نصر حققته الأساطيل الحفصية .[3]

وتولى الأمير الحفصي أحمد بن محمد اللحياني، قيادة الجيش والأسطول في عهد السلطان أبو عبد الله محمد الملقب بأبي عصيدة (709.694هـ/1310.1295م)[4]،حيث حاول استرجاع جزيرة جربة فطلب من السلطان ذلك فأذن له، فخرج من تونس في جمادى سنة ست وسبعمائة غازيا جربة [5]،أمّا أبو العباس (709م،1308هـ) الذي سعى جاهدًا للقضاء على الانفصاليين حيث سير أساطيله للغزو في البحر ،وتباشر القرصنة ،وهذا ما دفع بجماعة من الإفرنج من أهل جنوة والبندقية إلى مهاجمة المهدية بجيشهم ،وأساطيلهم ،ولكن تمكن هذا الحاكم من طردهم.[6]

---

[1]- سالم والعبادي، مرجع سابق، ص 286.

[2]- روبار برنشفيك، ج1، مرجع سابق ، ص 51.

[3]- أحمد عامر، **الدولة الحفصية**، د.ط، دار الكتب الشرقية ،تونس ،1974م، ص 47.

[4]- ابن الشماع، مصدر سابق، ص83.

[5]- ابن خلدون،ج6، مصدر سابق ص ص467.468.

[6]- عامر، مرجع سابق، ص 52.

وفي عهد أبو العباس أحمد الذي أصبح سلطان تونس (796.772هـ/1394.1370م)[1] عندما تحالفت أساطيل النصارى وهاجمت المهدية سنة (792هـ/1390م)[2] عين هذا السلطان أخاه المولى أبو يحي وولده أبا فارس عبد العزيز على قيادة الأسطول ،وقد استطاع هذا الأخير إفشال الحصار النصراني، وإجبارهم على العودة والانسحاب [3]،ونجد كذلك القائد رضوان الذي أرسله السلطان الحفصي على رأس الجيش المتجه نحو جزيرة مالطة سنة (832هـ/1428م)[4].

ضف إلى أنّ الأمير أبو عمر عثمان (839هـ/ 1435م)، نجده هو الأخر قد أشرف على قيادة الأسطول المتجه إلى بجاية، بعد أن امتنع عن بيعته علي بن عبد العزيز ،وتمكن هذا الأمير بفضل قوة جيشه أن يهزم صاحب بجاية ،وامتلكها أبو عمر في جمادى الثانية سنة (843هـ/ 1439م) ،وولي عليها ابن عمه عبد المؤمن بن أحمد الأول.[5]

وقد أشار ابن خلدون إلى وجود قيادة خارج الأسرة الحاكمة وهو زيد بن فرحون الذي كان قائد لأسطول الحفصيين ببجاية والذي شارك إلى جانب المرينيين في الملند سنة (740هـ/ 1340م).[6]

والجدير بالذكر أنّ قيادة الأساطيل داخل الإمارة الحفصية، ارتكزت على الأمراء في أغلبها مع بعض القواد القلائل الذين عينهم هؤلاء الحكام، مثل القائد بشير، وأحمد بن تافراجين التنمللي وأبو نعيم رضوان....الخ.[7]

---

[1]- ابن الشماع، مصدر سابق ، ص ص 110.112

[2]- ابن خلدون، ج6، مصدر سابق ص 559.

[3]- ابن الشماع، مصدر سابق ، ص111.

[4]- الزركشي، مصدر سابق ،ص122.

[5]- الجيلالي، ج2، مرجع سابق، ص 61.

[6]- ابن خلدون، ج7، مصدر سابق،ص354

[7]- الجلالي، مرجع سابق، 83، 84.

2-مكونات الأسطول:

اهتمت الإمارة الحفصية بالبحرية الإسلامية اهتمامًا كبيرًا، ولهذا قاموا بإنشاء العديد من الأساطيل، وأقاموا العديد من دور الصناعة، وفي مناطق مختلفة، مثل بجاية، لتوفرها على الخشب الكثير،[1] خاصة وأنّ بجاية قريبة من غابات منطقة القبائل.[2]

كما أنشأوا أبراج مراقبة عن طريق إنارة المرتفعات ،وذلك ليتفطن الجيش، إلى أي هجوم يأتي من طرف العدو، بالإضافة إلى الدورات التي كان يقوم بها الشرطة البحرية التي كانت تتواجد دائما بالقرب من السواحل التونسية[3]ونظرا لمكانة الأسطول الحفصي، كان للبحرية ديوان خاص بها، يسمى "ديوان البحر".[4]

وقد كان الأسطول يتكون من الجيش الحفصي، المنبثق من الجيش الموحدي وأول من رتب نواته، هو الشيخ عبد الواحد عندما أصبح واليا على إفريقية ،وكما انضمت إلى الجيش الموحدي منذ عهد عبد المؤمن قوات مسلحة أجنبية، ألحق الحفصيون كذلك في وقت مبكر قوات عسكرية من بلدان أخرى [5]مثل النصارى والمسيحيين والأتراك وقد ذكر الوزان أنّ الجيش الحفصي كان يتكون من ألف وخمسمائة فارس جلهم من النصارى والمعتنقين للإسلام،وعدد الرماة مائة كذلك أكثرهم من النصارى والمسيحيين القاطنين بتونس وحرس آخر مكون من أتراك مسيحيين بالإضافة [6] إلى العرب البربر التابعين للمغرب وإفريقية ،والمشارقة والأندلسيين والإفرنج.[7]ومن بين أهم

---

[1]- أبو محمد عبد الله بن محمد الإدريسي، **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق**،ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1422هـ 2002م،ص 291.

[2]- روبار برنشفيك، ج2، مرجع سابق، ص 54.

[3]- مبيطي المسعودي، مرجع سابق، ص 92.

[4]- روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 67.

[5]- نفسه، ص 75.

[6]- حسن الوزان، ج2،مصدر سابق، ص 80.

[7]- روبار برنشفيك، ج2،مرجع سابق، ص 76.

الأسلحة التي استعملت في الأسطول، الحفصي نجد،"السيوف" "والرماح"، "والفؤوس"، فالسيوف أنواع منها المصقولة ،والمحدبة وهي من أهم أسلحة البحارين أمّا الرماح فأنواع كثيرة منها، القنا والقنطاريات المدهونة وهي الرماح القصيرة ،والمزاريق والصواري والصبريرات، وهي الرماح الطويلة المخصصة للطعن، أمّا الفؤوس فهو سلاح له رأس نصف مستدير مبطط حاد النصل ومقبضه خشبي مستدير ،وأحيانا يتخذ من الحديد.[1]

"والدروع المعدنية "والدرع الذي كان أكثر استعمالا هو الدرع الإفريقي المصنوع من الجلد والمعروف باسم "الدرقة"،كما استعمل الدرع المصنوع من جلد الظبي، يسمى،"اللمط"و الخنجر الذي كان يشد على الذراع الأيسر ويوثق بالخنجر بواسطة خيط حتى لا يسقط،[2] وكذلك استعمال "الأقواس والنشاب "،والأقواس هي آلات لقذف النشاب ذات النصول مثلثة الأركان وهي أنواع منها قسي الزيار المصنوعة من خشب السندسيات وهي أشد القسي رميا وأعظمها جرما وتنصب عادة على الأبراج.[3]

بالإضافة إلى رمي السهام، حيث كان المقاتلون في إفريقية يميلون إلى استعماله ،وقد استعمل في صليبية لويس التاسع،[4] كما استعملت" الكلاليب والمجانيق" و الكلاليب نوع من الخطاطيف الحديدية، كان يستخدمها البحارون للرمي على مراكب العدو لجذبها وشدها ،والعبور إليها عن طريق ألواح خشبية، أو سلالم من الحبال لمقاتلة أعدائها.[5]

---

[1]- وفيق بركات، **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي** ،دط، منشورات جامعة حلب، الإسكندرية، 1416هـ 1990م، ص 138.

[2]- روبار برنشفيك، مرجع سابق ، ص 84.

[3]- بركات، مرجع سابق، ص 138.

[4]- روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 84.

[5]- بركات، مرجع سابق ،ص 138.

أمّا" المجانيق،" هي آلة لقذف الأحجار الضخمة المضرسة التي توضع على الكفة، ثم تقذف إلى الأهداف، بواسطة الشد على لوالب ،وتستخدم المجانيق لقذف الزيت المغلي وكذلك القدور المجهزة خصيصا لقذف المراكب البحرية،[1] وفي أعلى السفن يصنعون صناديق مفتوحة من أعلاها، يسمونها "التوابيت" يصعدون إليها قبل استقبال العدو،فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة في مخلات مغلقة بجانب الصندوق ،ويرمون العدو بالحجارة، وهم مستورون بالصناديق، وقد يكون مع بعضهم بدل الحجارة قوارير النفط للإشعال،ويرمى بها على السفن والقلاع للإحراق.[2]

و"النفط البحري "هو نفط خاص بإحراق المراكب ويجهز من قطران الكبريت ومواد أخرى مختلفة شديدة الالتهاب ،ولا تنطفئ بملامسة الماء ،ويطلق النفط من آلة نحاس أو حديد تعرف بالنفاطة ،وكثيرا ما يقذف النافطون النفط بالسهام والنشاب وأحيانا بالمنجنيق.[3]

واستعمل الحفصيون المدفعة النارية وذلك باستعمال البارود لدفع القذائف ،واستعملت لدى الحفصيون أثناء الدفاع عن عنابة ضد البلنسيين بقيادة الأمير أبو فارس ،وقد كان قسما من البارود يجلب من دولة أرجونه بواسطة التهريب ثم أصبحت إفريقية في وقت لاحق تزود المسلمين في الأندلس بالبارود،[4]كما كانت مصر تزود إفريقية بالسلاح والنفطية ففي سنة اثنتين وسبعمائة في عهد السلطان محمد ابن قلاوون ، أرسل بعض السفن المزودة بالنفطية والسلاح إلى حوض البحر المتوسط.[5]

---

[1]- بركات، مرجع سابق، ص141؛أُنظر الملحق رقم (3).

[2]- عبد الفتاح عبادة، **سفن الأسطول الإسلامي**، وأنواعها ومعداتها في الإسلام، دط، مطبعة الهلال، مصر ،1913م ص8.

[3]- بركات، مرجع سابق ، ص 139.

[4]- روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 86.

[5]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **الخطط المقريزية**، تح، محمد زينهم، ومديحه الشرقاوي، مكتبة مدبولي، د م ن ،1998ص 20.

السفن: عرفت الإمارة الحفصية أنواع مختلفة من السفن التي كانت تتواجد في حوض البحر المتوسط ،وقد ساهمت في العديد من النشاطات التجارية وحتى المعارك البحرية مع الدول الإيطالية والأوروبية ومنها.

الشواني: جمع شواني ،وهي مركب حربي كبير ذو أبراج وقلاع يستعمل للدفاع والهجوم ويجهز في أيام الحرب بالسلاح والنفطية، ويحشد بالمقاتلة والجنود البحرية وكانت من أهم قطع الأسطول الإسلامي ،ومتوسط ما تحمله 150رجلآ،ويجذف بمائة مجذاف وقد ظل الشيني متداولا في الملاحة حتى أيام الدولة العثمانية.[1]وقد وصفها ابن حمديس الصقلي :

أنشأت شواني طايرة وبنيت على ماء مُدنها.[2]

الحراقة :جمعها حرا قات وحرا ريق وهي سفينة حربية كانت بها مرام تلقى منها النيران على العدو،كما كانت تستعمل في حمل الأسلحة النارية ،كالنار الإغريقية[3].

الشلنديات: مفردها شلندي ،وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلين والسلاح وفي اللاتينية chelandian وأخذه الروس والإيطاليين والفرنسيين ،وإسترجعناه بطريقة التعريب فقلنا "صندل"،[4]وهي من السفن التي طورها العرب عن السفن اليونانية والرومانية وهي من المراكب المسطحة التي يصعب كشفها من بعيد.[5]

الأجفان :جمع جفن ،وهي سفن كبيرة الحجم وغالبا ما كان المغاربة يدعونها الأجفان الغزوية، وهي تشبه ما يسميه المغاربة القطعة ،ويبدو أنّ الأوروبيين كانت لهم أجفان ولهذا عندما يستولي المغاربة عليها يحولونها إلى أجفان إسلامية وقد تستخدم الأجفان للنقل.[6]

---

[1]- بركات، مرجع سابق ، ص 151؛أُنظر الملحق رقم(4).

[2]- عبادة، مرجع سابق، ص 4.

[3]- بركات، مرجع سابق، ص ص 152 ،153؛ أُنظر الملحق رقم (5).

[4]- عبادة، مرجع سابق، ص 6.

[5]- عبد الصمد، مرجع سابق، ص 313.

[6]- نفسه، ص 114.

الشبابيك أو الشباك :مركب حربي صغير الحجم، استخدم في البحر الأبيض المتوسط .[1]

الفلائك :جمع فلوكة ،وهي من توابع الأسطول.[2]

والطرائد: جمع طريدة ،والطرائد هي السفن الخصوصية لحمل الخيل للأسطول،وأكثر ما يحمل بها أربعون فارس، وقد أخذ الإفرنج هذا الاسم فقال الإسبان taride وبالإيطالية tartan وهي من سفن البحر المتوسط.[3]

البطس :جمعها بُطس وهي من مراكب البحر الكبيرة عديدة القلوع ،وقد يصل عدد القلوع في الواحد منها إلى أربعين قلعا ،واشتهرت في الحروب الصليبية ،وكانت تستعمل في نقل المجانيق والمقاتلة والسلاح والذخيرة وآلات الحرب والحصار ،ويعد محمولها بمئات الرجال ولها أسطح عالية وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش .[4]

الأغربة :جمع غراب وهي من أقدم أنواع السفن الحربية، كانت معروفة عند القرطاجيين والرومان وغيرهم ولا تزال معروفة حتى أيام الدولة العثمانية ولا يتغير شكلها، فكانت تسمى فيها بالغراب أو القدرعة ،وكانت من أشهر السفن الحربية ،واسمها مأخوذ من اسم الغراب لأنّ القدماء صنعوا سفنهم على شكل غراب، فيجعلون رأس السفينة ومقدمتها على شكل غراب أو طير.[5]

الزورق: سفينة صغيرة، مع أصحاب السفن البحرية، تستخدم لحوائجهم، فهي من توابع الأسطول.[6]

---

[1]- بركات، مرجع سابق، ص 154.
[2]- عبادة، مرجع سابق ،ص 7.
[3]- نفسه، ص 6.
[4]- بركات، مرجع سابق، ص 154.
[5]- عبادة، مرجع سابق، ص7.
[6]- بركات، مرجع سابق، ص 151.

القراقير والحمالات: مفردها قرقور ،وهي نوع من السفن العظيمة التي تحمل الزاد والكراع للأسطول ،وأصل اسمها بالإسبانية "كاركا"، بينما تقوم الحمالات بنقل الذخيرة ،واقتصرت القراقير على حمل المؤن.[1]

القوارب :جمع قارب وهي من توابع الأسطول ،وهي أنواع منها قوارب الخدمة ،والقوارب المعروفة في مصر، منذ أول الإسلام ،وقد وردت في كتاب عمر ابن العاص الذي يصف فيه مصر.[2]

[1]- عبد الصمد، مرجع سابق، ص 314.
[2]- عبادة، مرجع سابق، ص 7.

3-أهم الموانئ الحفصية:

في العهد الحفصي اتسع مجال المرافئ الإسلامية فنشطت التجارة في العديد من موانئها في كل من المهدية، قسنطينة، بونة...الخ، وكانت السفن تأتيها بالبضائع والسلع من مختلف الأقطار سواء السفن الحجازية، أو من المشرق والمغرب والأندلس.

المهدية:

مدينة صغيرة استحدثها المهدي القائم بالمغرب في نحو البحر، وهي كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور، حسنة الحمامات والخانات[1]،وهي على ساحل القيروان ومحط السفن لمن قصدها في جميع الجهات[2] سواء السفن الحجازية القاصدة إليها من بلاد المشرق والمغرب والأندلس ،وبلاد الروم وغيرها من المناطق ،وإليها تجلب البضائع الكثيرة بقناطير الأموال على مر الأيام[3]،والمهدية يقول عنها التجاني :<< دخلتها إذ هي مدينة جليل قدرها شهير في قواعد الإسلام ذكرها ،وهي من بناء عبيدة الله المهدي ،وكان ابتداء بنائه لها سنة"ثلاث وثلاثمائة"[4]...>>

كما أنّ البضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد والأقطار، والأمتعة والمتاجر بها نافعة، وفيها بائعة والهمم على أهلها موقوفة وإليها راجعة ،ولها حسن مباني لطيفة ونظيفة المنازل وديارها حسنة، بهية المنظر وأهلها حُسان الوجوه نُظاف الثياب ،ويعمل بها من الثياب الحسنة الرقيقة الجيدة ويُتاجر

---

[1]- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي، **صورة الأرض**، دط ، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1995ص73.

[2]- البكري أبو عبيد، الله بن عبد العزيز **المغرب في ذكر بلاد المغرب**، دط، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ،د ت،ص84.

[3]- الإدريسي، مصدر سابق ،ص281.

[4]- الفاضل ابي عبيد الله محمد بن محمد الأندلس، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1، المطبعة التونسية، تونس 1287،ص232.

بها التُجار إلى جميع الأفاق في كل وقت وحين[1]وملوكها كماة وجيوشها حماة وتجارها طرادة[1] ويحيط بالمهدية سور حصن مبني بالحجارة،[2]ويذكر المقديسي:<< أنّ المهدية من بحرها يرتفع القرن وهو المرجان وهي جبال في البحر>>[3]

ومرسى المهدية من عجائب العالم وهو في حجر صلد يتسع إلى30 مركبا ،وكان على المرسى برجيين بينهما سلسلة حديد من أغرب ما عمل، إذا أرادو أن تدخل سفينة أو مركب أرسل حراس البحر السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت ،وهذا تحصينا للبلاد لكي لا تطرقها مراكب الروم من صقلية وغيرها [4].

قسنطينة:

هي من مشاهير بلاد إفريقية ،وهي مدينة أزلية كبيرة، كثيرة الخصب على نظر واسع وقرى عامرة ،وبها ماء مجلوب يأتيها على بعد قناطر تقرب من قناطير قرطاجنة وبها أسواق وتجار،وأهلها مياسير ذو أحوال وأموال ومعاملات للعرب،وأصحاب حنطة تقيم في مطامرها مائة سنة، لا تفسد والعسل بها والسمن كثير،ويتاجر بها إلى سائر البلاد.[5]

وقسنطينة على قطعة جبل متقطع مربع فيه بعض الاستدارة ،ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد،[6]حصينة منيعة لا يوجد بإفريقية أمنع منها، بل ليس لها نظير إلا مدينة رائدة في الأندلس، فإنها تشبهها في وضعها والخندق المحيط بها،وقسنطينة من إحدى عجائب العالم ،وهي على نظير واسع ،ولها بساتين كثيرة الفواكه لكنها شديدة البرد والثلوج كثيرة الرياح لعلوها وارتفاعها وهي أقرب إلى مرسى القُل[7] ،ويوجد بها مزارع الحنطة ،والشعير ممتدة في جميع جهاتها ولها مسقى

---

[1]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص73.

3- الادرسي، مصدر سابق، ص282.

[4]- أبي عبد الله محمد المقديسي، **أحس التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2،دار صادر، بيروت ،1902.

[4]- مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع، سعد زغلول عبد الحميد، دار النسر المغربية، الدار البيضاء ،1985م، ص 118.

[5]- الحميري، مصدر سابق، ص480؛ أُنظر الملحق رقم (6).

[6]- الادرسي، مصدر سابق، ص265.

[7]- الحميري، مصدر سابق، ص ص480 481.

مسقى يستسقون منه ،ويتصرفون به عند أوقات الحصار لها ممن يطرقها[1]وبين قسنطينة وبجاية ستة أميال أربعة منها إلى جيجل ومن جيجل إلى بجاية خمسون ميلا.[2]

سوسة :

وهي بلد بالمغرب عظيمة ،ومن السوس يخرج إلى السوس الأقصى على ساحل البحر المحيط [3]ويحيط بها البحر من ثلاث نواحي الشمال والجنوب والشرق ،وسورها صخر منيع حصين حصين متقن البناء ويضرب فيه البحر ،ويدخل إلى دورها من فناء الجهة الشرقية ،وفي ركنها بين الغرب والقبلة منار عالي يعرف بمنار خلف القتى[4]و أهلها، ينسجون الثياب، الرفيعة ،والثوب فيها فيها بعشر دنانير وبينها وبين سفاقس يومان ،ولها ثمانية أبواب ،وبها الملعب وهو بنيان عظيم،[5]وبها جامع للخطبة وبنيانها كله بالصخر المحكم،وبها أسواق كثيرة وهي مخصوصة بكثرة الأمتعة قديمة البنيان،والحياكة بها كثيرة ،وعلى شاطئ بحرها مقام الوالي الصالح الشيخ أبو جعفر[6] وبها مواجن قليلة ،وأعمال صالحة نبيلة والغالب عليها السلام وبها فنادق ،ولها صناع جمة جمة ووجوه من الجباية غزيرة وغلاة واسعة ورباطات كثيرة. [7]

وخارج سوسة محارس ومرابط، وداخلها محرس عظيم يأوي إليه الصالحون والعباد، وقيل أنّ داخلها محرس أخر يسمى محرس القصب ،وهو متصل بدار الصناعة، وأول ما يرى من البحر القنطاس،[8] ويذكر القلقشندي :<< سوسة بالسين المهملة وسكون الواو وفتح السين الثانية ثم ثم هاء وهي مدينة على ساحل البحر، طولها أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق ،والعرض اثنتان

---

[1]- الإدريسي، مصدر سابق ،ص 267.

[2]- الحميري، مصدر سابق، ص 481.

[3]- ياقوت الحموي أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، **معجم البلدان** ج3، د.ط، دار صادر بيروت، دت، ص 282.

[4]- الأندلسي، مصدر سابق، ص،112.

[5]- الحموي مصدر سابق، ص 282.

[6]- محمد الأندلسي، مصدر سابق، ص ص111،112.

[7]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص74.

[8]- الحموي، مصدر سابق، ص 282.

وثلاثون درجة وأربعون دقيقة وهي في جنوبي تونس في طرف داخل البحر.>> [1] ،أمّا الإدريسي فيقول :<< أن سوسة مدينة مشهورة معلومة مذكورة كثيرة التجارات متصلة العمارات جامعة الخيرات وأمول أهلها كثيرة وتجارتهم مباركة.>> [2]

بونة:

مدينة بونة مقتدرة ليست بكبيرة ولا بالصغيرة ،ومقدارها في رقعتها كالأربس،وهي على نحو البحر ،ولها أسوق حسنة وتجارتها مقصودة وأرباح متوسطة ويوجد بها خصب ورخص موصوف،وفواكه وبساتين ،وأكثر فواكهها من باديتها ،والقمح بها والشعير ،وبها معادن حديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار المختلفة ،ويزرع بها الكتان،[3]وبها كثير من الخشب ،والعسل بها موجود مُكن وكذلك السمن والبقر [4] والغنم والصوف والماشية من الدواب،[5] وافتتحت على أيدي أحد رجال الملك المعظم ،رجار في سنة ثمان وأربعين وخمس مائة،وبجنبها جبل يدوغ وهو عالي الذرة سامي القمة. [6]

ويذكر البكري :<< أنّ مدينة بونة بونة أفشيتن العالم ولها مساجد وأسواق وحمامات ،وهي ذات تمر وزرع وهي مستنزه حسن ،وهي كثيرة الثلج والبرد وهي برية بحرية كثيرة الغنم واللبن والحوت والعسل وحول بونة قبائل عديدة من البربر منهم مصمودة وأوربة ،وأكثر تجارها أندلسيين.>>[7]

---

[1]–أبي العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، د ط، ج5،المطبعة الأميرية، القاهرة (1333هـ-1915م)ص103.

[2]– الإدريسي، مصدر سابق، ص210.

[3]– الأندلسي، مصدر سابق، ص77.

[4]– الإدريسي، مصدر سابق، ص291.

[5]– الأندلسي، مصدر سابق، ص77.

[6]– الإدرسي، مصدر سابق، ص 291 .

[7]– البكري، مصدر سابق، ص55.

بجاية:

قاعدة المغرب الأوسط ،وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر[1] على جرف حجر ،ولها من جهة الشمال جبل يسمى أميسيول وهو جبل سام صعب المرتقى ،والسفر إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة ،وأهلها تجار مياسير ،ولها بوادي ومزارع والحنطة والشعير وسائر الفواكه ،وبها دار لصناعة وإنشاء الأساطيل لأنّ الخشب في أوديتها وجبالها كثير.[2]

ومدينة بجاية في البر سبعون ميلا ،وفي البحر تسعون ميلا ،وهي مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد ،والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برًا وبحرًا مجلوبة والبضائع بها نافعة وأهلها مياسير تجار ،وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى ،وتجار الصحراء ،وتجار المشرق ،وتباع البضائع بالأموال المقنطرة،[3]ويذكر العبدري :>> أنّ بجاية وثيقة البنيان، عجيبة الإتقان، رفيعة المباني غريبة المعاني المعاني موضوعة مشرفة عليها أشراف الطليعة متحصنة بها منيعة، فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن أو ضارب.. .<<[4].

وهي قطب لكثير من البلاد وهي مدينة بناه ملوك صنهاجة ،وهي عظيمة مابين جبال شامخة قد أحاطت بها،والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب وقد قال عنها أحد الشعراء

بجاية كلها عقُاب حل لمن حلها عقُاب [5]

2- صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تح، تع، علي محمد البجاوي، ط1، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان ،1412هـ.1992م،ص163.

[2]- الحميري، مصدر سابق، ص ص 80 ،81.

[3]- الإدريسي، مصدر سابق، ص ص259 ،260.

[4]- العبدري البلنسي، **رحلته**، تق، سعد بوفلاقة، ط1،منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر 1428هـ 2007م ص49

[5]- الحميري، مصدر سابق ،ص 81.

وأوديتها كثيرة وبها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبل جرجرة وهو نهر عظيم [1] ،ولها دور لصناعة وإنشاء السفن وهي مرسى عظيم تحط فيها السفن من كل جهة ،وهي مشرقة نزهة مطلة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال.[2]

ومما سبق نستنتج أنّ الإمارة الحفصية عرفت العديد من القادة البارعين من ذوي الخبرة والكفاءة في القتال البحري ،والأمر الذي ساعدها في تحقيق العديد من الانتصارات البحرية هو التطور الكبير الذي شهدته في بناء سفنها الحربية والأسلحة البحرية وكثافة دور صناعتها ،ضف إلى ذلك الدور الكبير الذي كانت تقوم به أهم موانئها حيث ساهمت في تنشيط حركتها التجارية مع مختلف ا لبلدان سواء من المشرق أو الأندلس أو المغرب .

[1]- الإدريسي، مصدر سابق، ص 260.

[2]- الحميري، مصدر سابق، ص 81.

الخاتمة

ومما سبق يمكن القول أنَّ الإمارة الحفصية لعبت دوراً كبيراً في حوض البحر الأبيض المتوسط وذلك من خلال:

1- أنَّ هذه الإمارة استطاعت إثبات وجودها منذ بداياتها الأولى في فترة حكم الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص الذي استطاع استرجاع المهدية وتونس من بني غانية، والانفصال عن الموحدين.

2- أنَّ الإمارة الحفصية قدمت العديد من المساعدات البحرية لدول المغرب ،ويتجلى ذلك من خلال تزويد الحفصيين المرينيين بالأساطيل والجنود ضد القوى النصرانية التي كانت تسعى دائماً لبسط نفوذها على دول المغرب، ففي عهد أبي بكر توجهت قوة بحرية مكونة من ست عشرة سفينة إلى المرينيين لإنقاذهم من العدو النصراني.

3- مساعدة الحفصيين لأهل الأندلس، في تلبية نداء الاستغاثة من خلال الوفد الذي جاء من الأندلس برئاسة ابن الآبار إلى الحاكم أبو زكرياء الحفصي حيث لبى هذا الأخير النداء وبعث العديد من الأساطيل والسلاح والمؤن عن طريق البحر إلى نجدة المدينة المحاصرة من قبل النصارى.

4- مشاركة الحفصيين في العديد من الحروب البحرية ضد القوى النصرانية، مثل التصدي إلى الحملة الصليبية الثامنة في فترة الحاكم المستنصر.

5- وجهت الإمارة الحفصية العديد من الغارات في كثير من المرات على الأراضي النصرانية مثل مالطة والسواحل الإيطالية، التي كانت عُرضة إلى الهجمات المتكررة من طرف الأسطول الحفصي.

6- أنها لعبت دوراً اقتصادياً كبيرًا من خلال استمرار العلاقات التجارية مع الدول الأوربية وذلك بتوقيع العديد من الاتفاقيات، حيث أنّ هذه الإمارة كانت تستورد بفضل أسطولها البحري العديد من المنتوجات من هذه الدول مثل: التوابل ، المعادن والعطور...ألخ.

7-أنَّ الدافع والحافز الذي ساعدها على إقامة علاقات اقتصادية في حوض البحر هو غنى هذه المنطقة بالعديد من المنتوجات الزراعية والصناعية، وكذلك الموقع المميز، بالإضافة إلى توفر الكثير من مناطقها على الخشب الخاص بصناعة السفن، فقاموا ببيناء العديد من دور الصناعة لإنشاء الأساطيل.

8- طول الشريط الساحلي لهذه الإمارة ، والذي ضم أهم الموانئ مثل، قسنطينة بجاية بونة...إلخ, بحيث كانت محط للعديد من السفن التي كانت تأتيها من مختلف الأقطار سواء من دول المغرب أو الأندلس، أو الحوض الشرقي و أوروبا وغيرها.

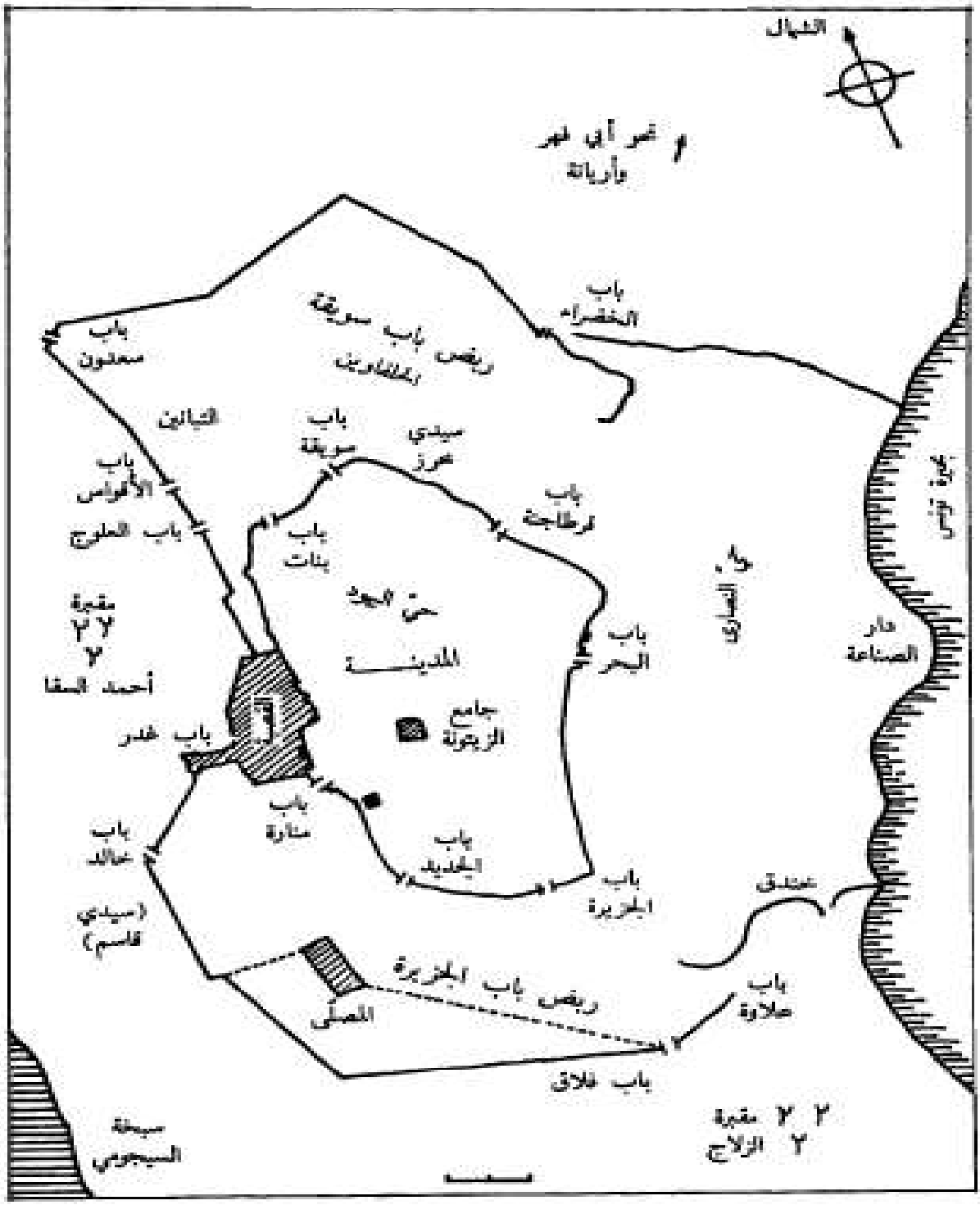
9- توفرها على أنواع مختلفة من السفن البحرية والعتاد، وهذا ما جعلها في بعض الأحيان تسيطر على الوضع في حوض البحر، سواء عسكرياً أو اقتصادياً.

10- أنَّ الحفصيين عرفوا كيف يسيروا أمور دولتهم، حيث نجد أنهم شجعوا القرصنة والتجارة البحرية التي كان يقوم بها التجار المسيحيين، والتي عادت على هذه الإمارة بأرباح، وأن تكون أقل تبعية من غيرها.

الملاحق

الملحق رقم: 01 [1]

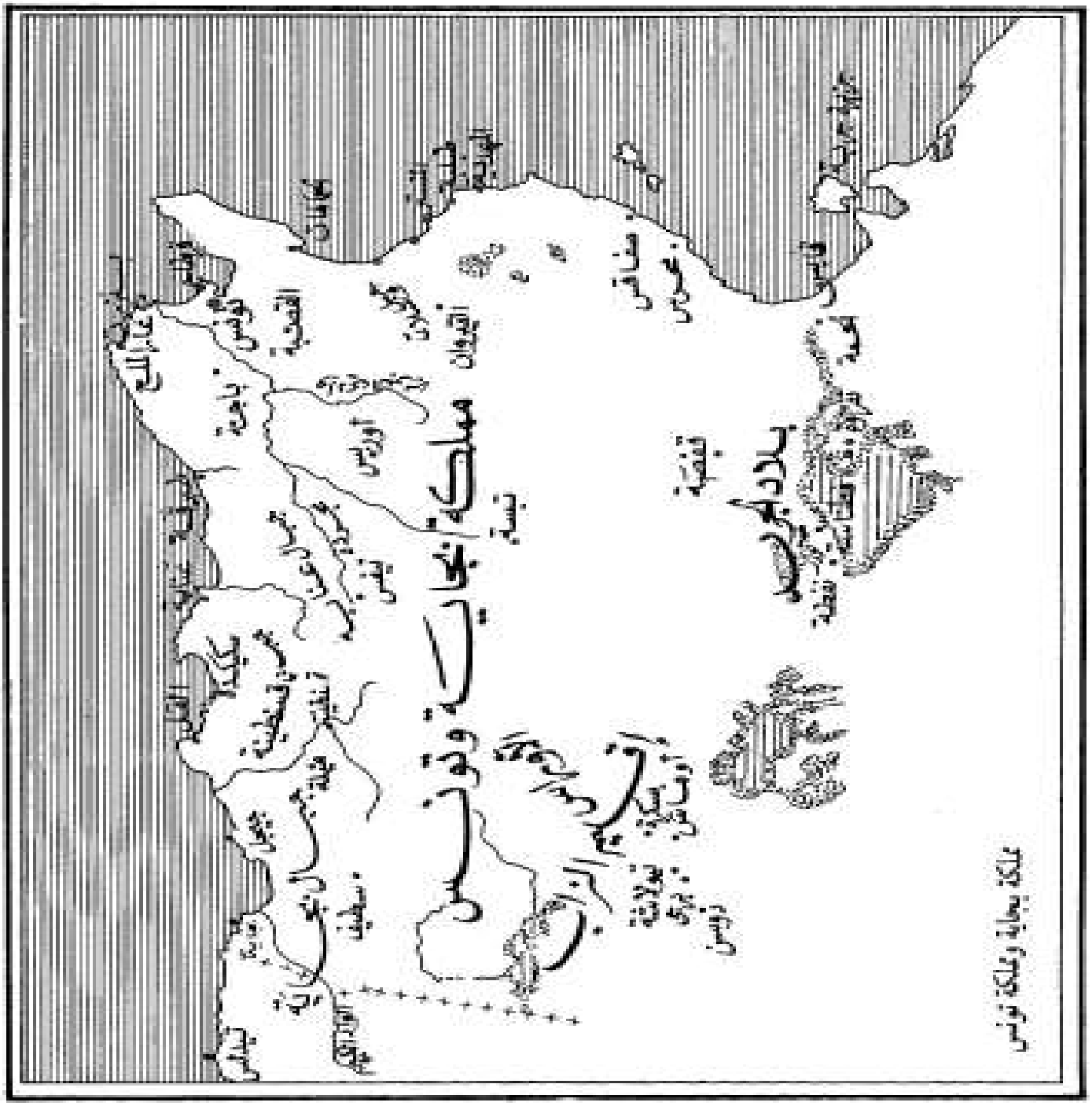
مدينة تونس في العصر الحفصي



[1] روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى غاية القرن 15، ج1، ص 370.

الملحق رقم:02 [1]

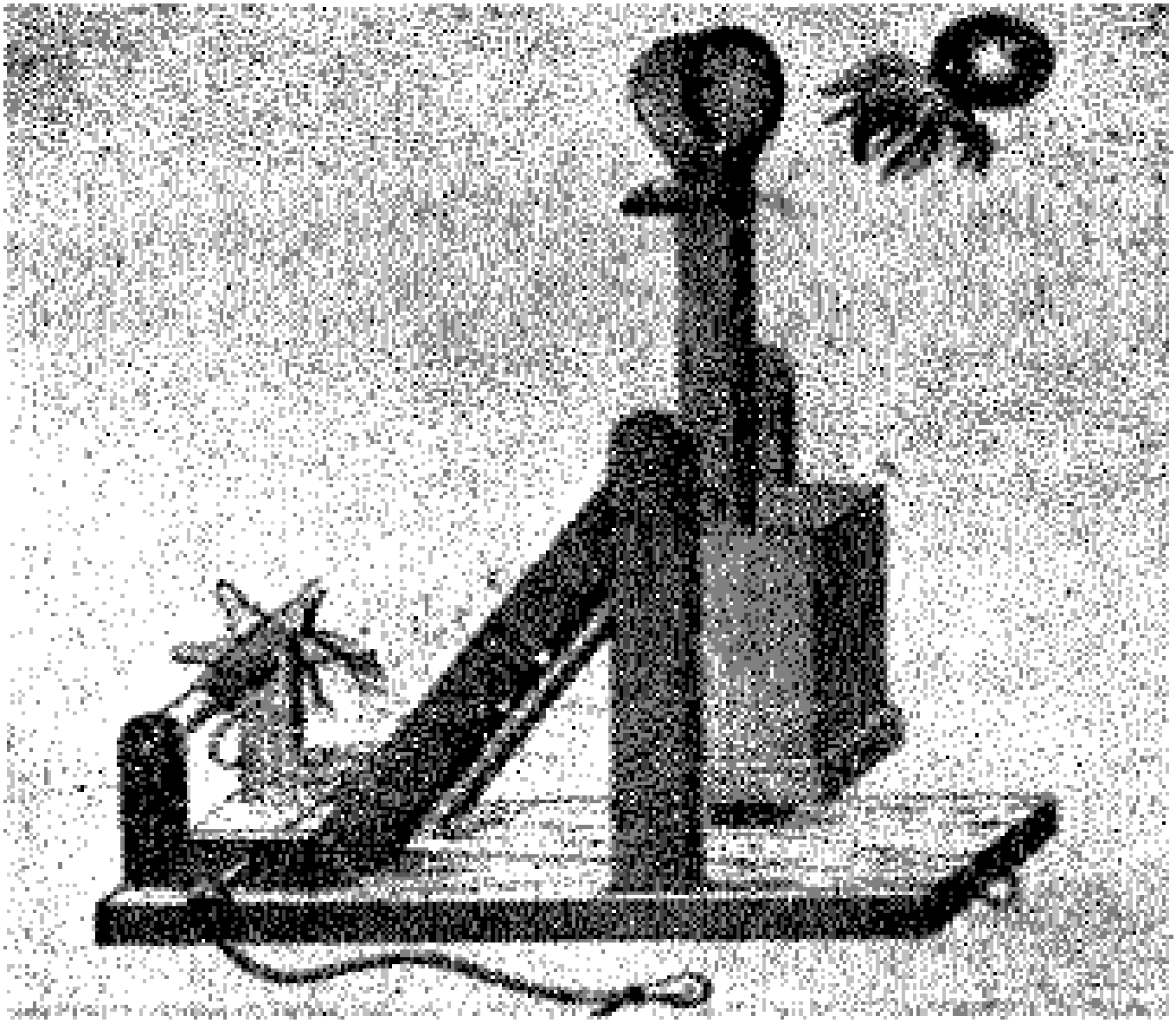
حدود الإمـــارة الحفصية



[1] حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص48.

الملحق رقم:03 [1]

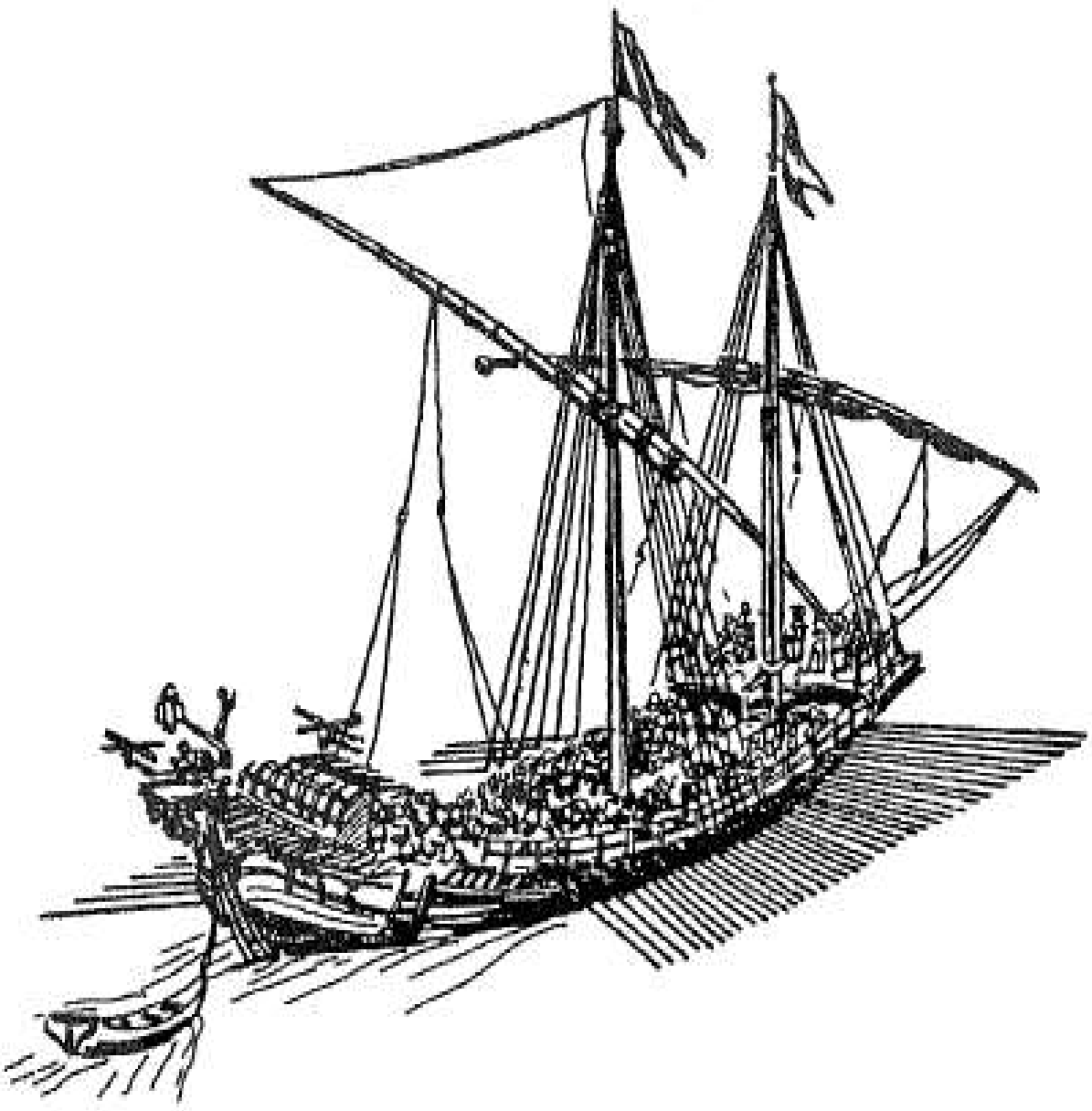
منجنيق لرمي النفط



[1] عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي أنواعها ومعداتها، مرجع سابق، ص08.

الملحق رقم: 04 [1]

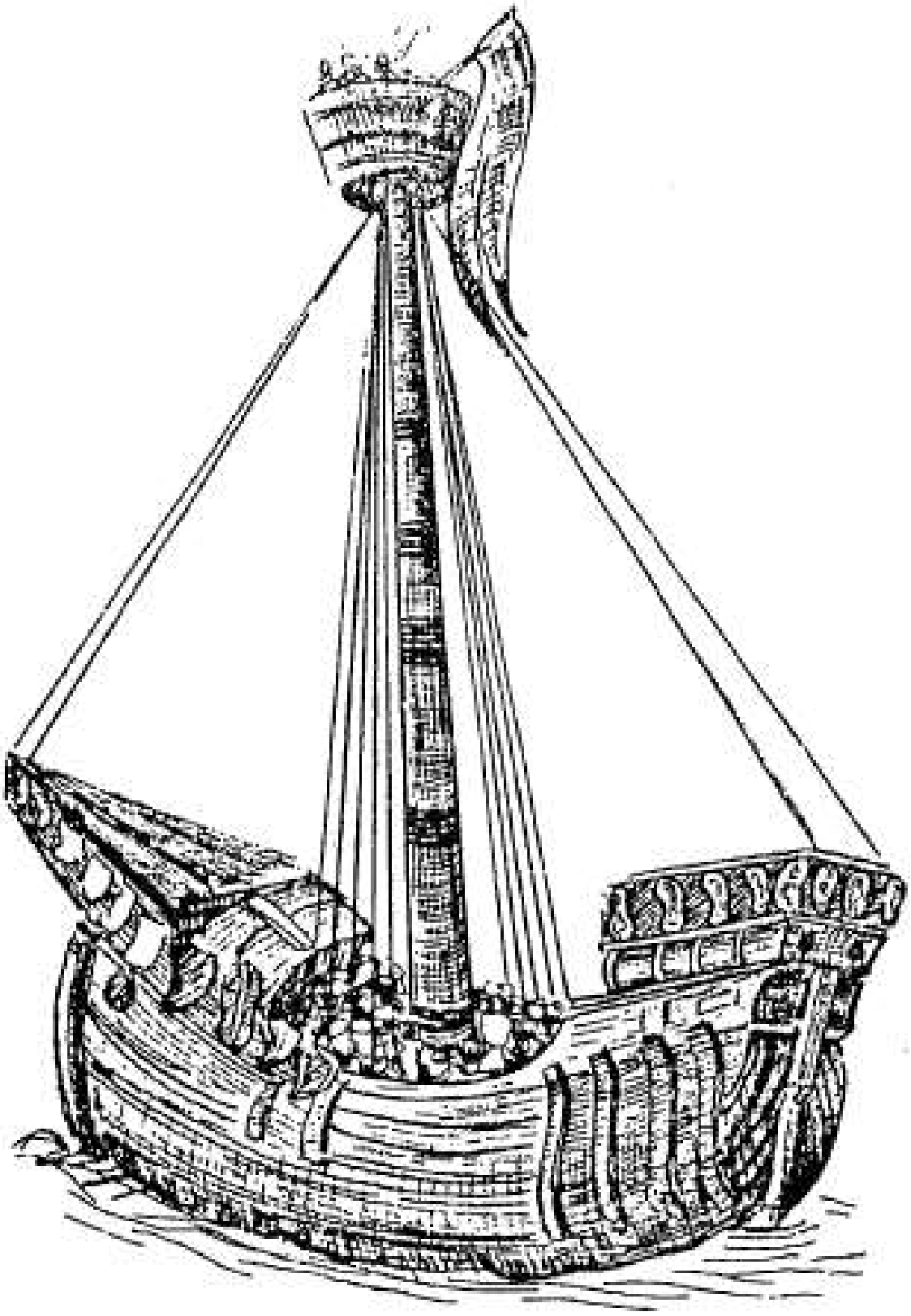
الشـــــانية



[1] وفيق بركات، فن الحرب البحرية، مرجع سابق، ص 150.

الملحق رقم: 05 [1]

حراقـــــة



[1] وفيق بركات ،مرجع سابق،ص152.

الملحق رقم:06 [1]

قسنطينة في العصر الحفصي

f



[1] روبار برنشفيك، ج1، المرجع السابق، ص 411.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم:

سورة التوبة ،***الآية (41)*** .

سورة الأنبياء، **الآية (35)**.

قائمة المصادر:

1- ابن أبي دينار: **المؤنس في اخبار افريقية وتونس**، ط1، د د ن ، تونس1286.

2- الإدريسي أبومحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله(ت 560هـ-1164م) : **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق** ،ج1، دط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ،2002م.

3-اسماعيل علي :**النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية**، ط2، مطبعة اندريا كستا جيليولا، مصر 1906م.

4- الأندلوسي محمد الفاضل أبو عبد الله محمد: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ط1،المطبعة التونسية ،تونس،1287.

5- البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت739هـ-1338):**مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** تحقيق ،تعليق ،علي محمد البجاوي،ط1،ج1،دار الجيل ،بيروت، لبنان 1412هـ. 1992م.

6- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز(ت487هـ-1094م) : **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب** د ط، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 1432هـ،2011م.

7- البكري أبو عبيد: **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، د ط، دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة، د ت.

8- ابن جبير ابي الحسن محمد بن احمد (ت614هـ-1217م): **رحلته**، د ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1379هـ 1959م.

9- الهادي محمد الشريف ،**تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الإستقلال**،تح ،محمد الشاوش ومحمد عجيني، ط3، دار سراس للنشر، تونس 1993م.

10- الزركشي عبد الله بن محمد بن ابراهيم :**تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية** ،تحقيق ،وتعليق محمد ماضوي، ج2،ط2،المكتبة العتيقة ،تونس،1966م.

11- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي (ت 380-990م): **صورة الأرض**، دط، دار مكتبة الحياة بيروت، 1995م.

12- حسن الوزان أبوعلي الحسن بن محمد الفاسي(ت 957هـ-1550م): **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،ج1،ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1883م.

13- حسن مؤنس :**أطلس تاريخ الإسلام** ،ط1،دار النشر الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1408هـ.1987م.

14- الحميري عبد الله بن عبد المنعم(ت 727هـ-1327م) :**الروض المعطار في خبر الأقطار**،ط 2،دارالجيل، بيروت الاجيل،بيروت،لبنان،1408هـ1988م.

15- ياقوت الحموي أبوعبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي(ت 626هـ-1229م) :**معجم البلدان** ،د ط، دار صادر، بيروت ،د ت.

16- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد(ت711هـ-1311م): **لسان العرب**،ج2، دار صادر بيروت ،د ت.

17- مجهول :**الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق، سعيد زغلول عبد الحميد ،دار النشر المغاربية، الدار البيضاء،1985م.

18- المراكشي عبد الواحد أبو محمد بن علي(ت647هـ-1249م) :**المعجب في تلخيص اخبار المغرب** ،د ط ،تحقيق محمد سعيد العريان د د ن ،القاهرة 1383هـ1962م.

19- المراكشي عبد الواحد أبو محمد بن علي :**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تح، تع، محمد زينهم ،محمد عزاب ،دار الفرجاني للنشر، القاهرة،1414هـ،1994م.

20- المقديسي محمد ابي عبد الله :**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،ط2،دار صادر بيروت 1902م.

21- مقديش محمد: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق، علي الزاوي ومحمد محفوظ،ج1،ط1دار الغرب الإسلامي ،لبنان،1988م .

22- المقريزي تقي الدين أحمد(ت 808هـ-1441م): **الخطط المقريزية**، تحقيق، محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ،مكتبة مدبولي ،د م ن،1998م.

23- العبدري البلنسي ت في أواخر القرن 7هـ-13م: **رحلة العبدري**، تقديم سعد بو فلاقة منشورات بونة للبحوث والدراسات بونة، الجزائر ،1428هـ،2007م.

24- ابن عذارى أبوالعباس أحمد بن محمد المراكشي(ت710 هـ-1320م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** قسم الموحدين، تحقيق، محمد ابراهيم الكتاني واخرون، ط2دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1406 هـ1985م.

25- الفاسي علي ابن ابي زرع :**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** ،د ط ،دار المنصور الرباط 1392هـ-1972م.

26- القزويني زكرياء محمد بن محمود(ت 682هـ-1283م):**اثار البلاد وأخبار العباد** ،دط،دار صادر ،بيروت ،د ت.

27- القلصادي أبي الحسن الأندلسي(ت891هـ-1486م) :**رحلة القلصادي** ،ترجمة محمد أبو الأجفان الشركة التونسية للتوزيع ،تونس ،1398هـ-1978م.

28- القلقشندي أبي العباس أحمد (ت821هـ-1476م) :**صبح اللأعشى** ،دط،ج5،المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333هـ. 1915م.

29- ابن الشماع أبوعبد الله محمد بن أحمد: **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** ،تحقيق محمد المعموري، دط، الدار العربية للكتاب ،تونس،1984م .

30- التجاني أبو عبد الله بن محمد بن أحمد :**رحلته** ،د ط، الدار العربية للكتاب، تونس 1982م

31- ابن خلدون عبد الرحمان(ت 808هـ-1405م) : **ابن خلدون**، ج2، ط1، شركة ابناء الشريف اللأنصارللنشر والتوزيع، بيروت ،1428هـ،2007م.

32- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق، ا.م.كاترمير، مج2، مكتبة لبنان بيروت،1992 م.

33- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الحضرمي: **ديوان المبتدأ والخبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج6،د ط، دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت لبنان، 1421هـ 2000م.

قائمة المراجع:

1- أحمد عامر: **الدولة الحفصية**، د ط، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م.

2- بحري السعيد: **الشعرفي ظل الدولة الحفصية**، ط1، دار بهاء الدين للنشر، الجزائر،2009.

3- بركات وفيق: **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي**، منشورات جامعة حلب الإسكندرية ،1416هـ،1990م

4- بورقيبة صالح: **أبحاث ودراسات في تاريخ وأثار المغرب الإسلامي وحضارته**، دط،دار الهدى الجزائر2011.

5- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ط4، دار الثقافة بيروت،1980م.

6- ديب صفية :**التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر،2011م.

7- حسن ابراهيم حسن:**تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي**،ج4، ط1، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،مصر،1968م.

8- طه رمضان عبد المحسن: **تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة**، ط1، دار الفكر عمان، 1432هـ،2011م.

9- الطويلي أحمد: **في الحضارة العربية التونسية**، د ط، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر تونس د ت .

10- المطوي محمد العروسي :**السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي** دط،دار الغرب الإسلامي بيروت 1406هـ،1986م.

11- الميلي محمد المبارك :**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،ج2، دط، دار الغرب الإسلامي بيروت د ت.

12- سالم عبد العزيز والعبادي أحمد مختار: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس**، د ط دار النهضة العربية، بيروت لبنان،1969م.

13- سالم عبد العزيز: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية،1984م.

14- سليمان أحمد السعيد: **تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرة الحاكمة**، ج1، دار المعارف القاهرة مصر ،1972م.

15-السيد محمود: **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، دط، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د ت.

16- السيد محمود: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، د ط، مؤسسة شباب، الإسكندرية 2007

17- السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت1315هـ-1897م): **الإستقصا للأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد المنصور،ج2،دط،الدار البيضاء،هـ1454.

18- عبادة عبد الفتاح :**سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام** ،د ط، مطبعة الهلال، مصر،1913م.

19-العبادي أحمد المختار: **تاريخ المغرب والأندلس**،دط، دار مؤسسة شباب الجامعة ،د م ن،2008.

20- العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، ج1، ط2، دار النشر المركز الثقافي العربي، لبنان 2009.

21- عطاء الله شوقي الجمل: **المغرب العربي ا لكبير في العصر الحديث**، دط، مكتبة الأنجلو القاهرة،1977 م.

22- علام عبد الله علي: **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**، دط، دار المعارف القاهرة 1119.

23- عمارة محمد: **قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الشرق بيروت، 1413هـ،1493م.

24- عمر احمد موسى عز الدين: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، دار الشرق، بيروت القاهرة 1403هـ-1983م.

25- عوض محمد مؤنس: **عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات**، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، د م ن، 2005م.

26- عبد الصمد توفيق مزاري: **النشاط البحري بالمغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين**، منشورات دارالثقافة حسن الحسني، المدية الجزائر،2010.

27- فلالي عبد العزيز :**تلمسان في العهد الزياني**، ج1، دط، دار النشر تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر،2011م.

28-صابرة خطيف: **فقهاء تلمسان والسلطنة الزيانية**، ط1، جسور للنشر، الجزائر،1432هـ 2011م.

29- الصلابي محمد علي: **دولة الموحدين**، دط، دار النشر مؤسسة اقرأ، د م ن، 2006

30-الرهماني محمد علي و الأمين محمد: **المفيد في تاريخ المغرب**، دط، دار البيضاء، الجزائر، د ت

31- شاكر محمود: **التاريخ الإسلامي**، ط4،ج7، دار المكتب الإسلامي، بيروت،1411هـ-1991م.

32- شاكر مصطفى وممدوح حسين: **الحروب الصليبية في شمال إفريقية واثرها الحضاري**،دار عمان للنشر، الكويت،792.668هـ، 1390.1270م.

33-شيت محمد خطاب: **المغرب العربي**، ج1،دط، دار الفكر للنشر، د ت.

34- الغناي مراجع عقيلة: **قيام دولة الموحدين**، ط2، منشورات جامعة قاريونس ليبيا،2008.

35- الغناي مراجع عقيلة: **سقوط دولة الموحدين**، ط2، منشورات جامعة قاريونس،ليبيا،2008.

المراجع المترجمة:

1-ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية باتلمسان**، تعريب هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ،د م ن،2001م.

2- ج .س،كولان: **الأندلس**، ترجمة ابراهيم خورشيه واخرون، ط1،كتب دار المعارف الإسلامية، بيروت لبنان ،1980م.

3-كارين أرمسترونغ: **الحروب الصليبية المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم الإسلامي اليوم**، ترجمة ،سامي الكعكي،د ط، دار الكتاب العربي، لبنان،2005 م.

4- روباربرنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15** ترجمة حمادى الساحلي،ج1،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1988م.

قائمة المصادر والمراجع

الرسائل الجامعية :

1- المسعودي جميلة المبيطي:"**المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها 893.621**"،اطروحة ماجستير، اشراف، محمد المنيسي، محمود عاصي، جامعة أم القري، قسم الدراسات العليا التاريخية، المملكة السعودية،1421هـ.2000م.

2- عزيز الأعرجي نضال مؤيد مال الله: "**التاريخ الإسلامي**"، أطروحة ماجيستر، المشرف عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل، د ت.

3- عمارة فاطمة الزهراء:" **المدارس التعليمية باتلمسان خلال القرنين 8.9هـ، 15.14م**" اطروحة ماجستير، المشرف محمد معمر، قسم الحضارة الإسلامية، وهران، 1430هـ.1431م.

المقالات :

1- بشاري لطيفة :" **العلاقة التجارية بين إمارة بني عبد الواد ومملكة أرغوانة**" مجلة الإتحاد العام للأثرين العرب، العدد16،د ت.

2- الرياصي مفتاح يونس:" **ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودول الكانم والبورنو في العصور الوسطى**" مجلة ساتر جامعة7أكتوبر،كلية الآداب ليبيا، د ت.

3- غومة سالم ابو القاسم :"**العلاقة السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط** "،المجلة الجامعة، العدد الثامن عشر، المجلدا الثاني،دار جامعة الجيل الغربي، مايو2016.

الملتقيات:

1- بداود عبيدة :"**قراءة في علاقة تلمسان الزيانية بالدولة الحفصية والمرينية**"، ملتقى دولي الإسلام في المغرب ودور تلمسان في نشرة، الجزائر، مارس 2011.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الشكر والتقدير

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة :.....01

مدخل:.....07

المبحث الأول: قيام الإمارة الحفصية:.....11

1- نسب الحفصيين:.....12

2- النشأة والتطور:.....16

3-انفصال الحفصيين عن الموحدين:.....20

المبحث الثاني: الدور السياسي والعسكري للإمارة الحفصية في حوض البحر الأبيض المتوسط.....24

1-الصراع مع القوى الإسلامية في حوض البحر المتوسط:.....25

2- الصراع مع القوى النصرانية:.....34

3-نشاطهم في الحوض الشرقي:.....37

المبحث الثالث الدور الاقتصادي للإمارة الحفصية في حوض البحر الأبيض المتوسط المتوسط.....39

1-الزراعة :.....40

2-الصناعة :.....45

3-الدور التجاري للإمارة الحفصية :.....47

المبحث الرابع :النظم البحرية للإمارة الحفصية:.....53

1-أهم قادة الأسطول :.....54

2- مكونات الأسطول الحفصي :.....57

3-أهم الموانئ :.....63

الخاتمة :.....70

الملاحق :.....73

قائمة المصادر والمراجع:.....79

1: المصادر.....80

2:المراجع:.....82